موقف الإمام مالك
من العقيدة السلفية

٩٣هـ - ١٧٩هـ

تأليف الدكتور
محمد بن عبد الرحمن المغراوي

تقديم
الشيخ عبد الله السبت

دار الفتح
الشارقة

موقف الإمام مالك

من العقيدة السلفية

٩٣هـ - ١٧٩هـ

تأليف الدكتور

محمد بن عبد الرحمن المغراوي

تقديم

الشيخ عبد الله السبت



الطبعة الأولى لدار الفتح
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم : أع ش ٢٤٥٦
تاريخ : ٢٩/ ١٠ / ١٩٩٤م

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ - هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤-٦.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦-٠٦ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشارقة - إ.ع.م

مقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. سبحانه بيده الملك وإليه الأمر .

والصلاة والسلام على النبي الأمي وعلى آله وصحبه الأبرار، الذين نفوا عن الدين تأويل الغالين وانتحال المبطلين. آمنوا به وبما جاء به من ربه دون تأويل ولا تعطيل ولا تفويض وتشبيه، بل قالوا: سبحان ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

وهكذا مضى الأخيار وتعاقبت الأجيال، اللاحق يسير على درب السابق، ويتوارث العلم بين أصحاب الحق حتى خلفت في الأمة خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون .

وبقيت عقيدة الإسلام صافية من الشوائب، حتى نبتت نابتة البدعة وقام سوقها بين الجهّال وأصحاب الأهواء، فانحرفوا عن الجادة وكلما رفع أهل البدع رؤوسَهم، قمعتها مطارق الحق، والحرب دائرةٌ رحاها بين الفريقين. لكن اللّه مظهر دينه وغالب على أمره، إلى أن جاء عصرنا الأغبر هذا فرفع أهل البدع والأهواء عقيرتهم ناعقين بما لم ينزله اللّه، ولم يقله رسوله صلوات اللّه وسلامه عليه، ولا كان عليه الصحب الأخيار، ولجأوا إلى أسلوب خبيث فاسد، ألا وهو الكذب على السلف والتجني عليهم، ونسبة أمور في العقائد لهم ترويجاً للضلال، والسلف من ذلك أبرأ من ذئب يوسف .

فقد ظهر في عصرنا هذا كُتّاب نسبوا القول زوراً السلف وسوّدوا بها صحائف الورق ، ومن هؤلاء حسن السقاف ذلكم الضال الذي تُروج كتبه في كثير من البلدان وتوزع دون حساب وفيها من الضلال ما فيها، ومنهم كذلك محمد عادل عزيزة الذي افترى على الأئمة ونسب إليهم العقائد الفاسدة عقيدة الخلف وغيرها، وقد كشف كذبه ورد عليه الشيخ الدكتور عبدالرزاق العبّاد من المدينة المنورة وكذلك الشيخ محمد جميل زينو .

ولعلك تتساءل - وفقك اللّه للخير - لماذا التركيز على كشف هؤلاء ومتابعتهم وجوابنا لك حفظك اللّه ما يلي:

١- إن ذلك من تمام نصرة الدين والقيام بأمر الدعوة إلى اللّه والنصح للأمة. فكما قال الإمام ابن تيمية - رحمه اللّه - : «الراد على أهل البدع مجاهد» .

٢- والثانية - يا محب - إننا لابد لنا من الصدع بالحق لقوله ﷺ «ألا لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه» (١) .

ولعل أوضح عبارة توضح خطورة هؤلاء قول الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني: «واعلم رحمك الله أن الإسلام وأهله أُتُوا من طوائف ثلاث:

١ - فطائفة رَدّت أحاديث الصفات، وكذّبوا رواتها فهؤلاء أشدُّ ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار.

٢ - وطائفة قالوا: بصحّتها وقبولها ثم تأوّلوها؛ فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى.

---

(١) رواه الترمذي (١٩١) وابن ماجه (٤٠٠٧) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري وصححه الألباني (١٦٨ السلسلة الصحيحة) .

٣ ـ والثالثة : جانبوا القولين الأوَّلَيْنِ ؛ وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأُولَيَيْنِ».

ونحن بعدما اطّلعنا على مفتريات المدعو عادل عزيزة حول عقيدة الأئمة وتلبيسه الحق بالباطل، وصدعاً بالحق، فقد رأت دار الفتح بياناً منها لعقيدة سلفنا الصالح أن تنشر هذه الدراسة القيمة عن عقيدة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه اللّه، ليكون الحق الذي يزهق باطلهم ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾(١) ذلكم أن هذا النوع من أهل الأهواء لا يمكن مجاراته فهو يستطيع أن يُخرج كل يوم مسألةً أو قولاً مبتوراً يزعم أن أحد الأعلام قال به .

لكن هذه الدراسة التي دبّجها العالم الفاضل الشيخ الدكتور عبد الرحمن المغراوي ـ وهو من علماء المغرب العربي ـ تأتي كالصاعقة لتدفع الباطل فإذا هو زاهق .

وبعد :

فاعلم يا عبد اللّه أن هؤلاء أهل الأهواء والبدع يجيدون العزف على كل المنظومات، لأنهم لا مذهب لهم بل همّهم أن يصدِّروا البدعة، فتراهم يؤصلون لها أصولاً ثم يبحثون لها عن دليل يسندونها إليه ويتبعون ما تشابه منه فإذا رأيتهم فاعلم أنهم الذين سمّى اللّهُ في قوله تعالى: ﴿ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾(٢) فاحذرهم. أمّا الذين يقولون ﴿ربنا آمنا واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾(٣) فهم الذين يتمسكون بالدليل ويُرْجِعون القول إلى قول اللّه وسنة نبيه ﷺ امتثالاً لقوله ﷺ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابداً كتاب

(١) سورة الاسراء آية : ٨١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٣.

الله وسنتي»[1]. ولا يَخرجون بفهمهم للدين عن فهم سلف الأمة الأبرار من الصحابة الأخيار والتابعين والعلماء الربانين فهم مستمسكون بحبل الله عز وجل الذي أمر المسلمين بالاعتصام به ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا﴾[2]. فحبل اللهِ هو السبيل الذي بيّنه في القرآن خير بيان وبينّه رسولُه ﷺ في سنته الغراء بما لم يدع لأهل الأهواء سبيلا ولا لأهل الزيغ حجة ولا برهاناً، وسار عليه الصحابة الكرام ودعوا الناس إلى الاستمساك به .

فكن يا عبد الله على حذر ممن سماهم الله عز وجل ولا يَغُرَّنك هذا البهرج من الأقوال فعليك ـ رحمك الله ـ بعقيدة الأئمة الأربعة [3] رضوان الله عليهم .

فالمأثور عنهم ـ رحمهم الله أجمعين ـ تقرير أن الدين هو ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وجاء عن المصطفى ﷺ، فهذا إمام دار الهجرة يقعّد قاعدةً تُكتب بماء الذهب وتسطّر في القلوب فضلاً عن الأوراق (ما من أحد إلا رَدَّ وردُّ عليه إلا صاحب هذا القبر) وأشار إلى قبره ﷺ وقرّر إخوانه من الأئمة هذه القاعدة و حذّروا من مخالفتها .

فلا يجوز بحالٍ اتفاقاً اتباع قول أحد كائناً مَنْ كان مهما علا قدره وفضله وعلمه إذا خالف أمر الله أو أمر رسوله ﷺ، أمّا المتأول الصادق المبتغي للحق فله أجر وإن أخطأ إلا أنه لا يجوز اتباعه فيما تبين خطؤه فيه [4].

---

(١) رواه الحاكم ٩٣/١ ومالك في الموطأ (٨٩٩) من حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما وحسنه الألباني (المشكاة ١٨٦).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٣) نشر الشيخ محمد الخميس عقيدة الأئمة الأربعة فليراجع .

(٤) لمزيد من التفصيل في هذه المسألة الهامة راجع كتاب (هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين) للمعصومي وكتاب (القول المفيد في أدلة الأجتهاد والتقليد) للشوكاني و(عقد الجيد في أحكام =

وأما الهداية العامة فقد تكفّل بها سبحانه لأهل الحق الساعين إليه بإخلاص ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾(١).

فخذ عن هذا الدراسة العقيدة الصافية النقيه احرص عليها والتزمها - تُوفق للخير - ودع عنك هذا الذي زخرفوه لك من الأغاليط.

فجزى الله خيراً أئمة السلف على نصحهم للأمة وجزى الله كاتبنا خير الجزاء وجعلنا جميعاً هادين للحق مهتدين بهدي السلف الصالح.

والله الهادي لا رب سواه.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.

كتبه أبو معاوية

عبد الله السبت

بمدينة الشارقة العامرة

الأول من جمادى الآخر ١٤١٦هـ

* * *

= الاجتهاد والتقليد) لولي الله الدهلوي. من منشوراتنا.

(١) سورة العنكبوت آية: ٦٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إنّ الحمد للّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يا أيّها الذين آمنُوا اتّقوا اللّه حَقَّ تُقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمونَ﴾ ﴿يا أيهَا الناسُ اتّقوا ربَّكم الذي خلقَكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجَها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا اللّه الذي تساءلوَن به والأرحامَ إن اللّه كان عليكم رقيباً﴾ ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اتقُّوا اللّهَ وقولوا قولاً سديداً * يُصلحْ لكمْ أعمالكُمْ ويغفرْ لكمْ ذنوبَكمْ وَمَنْ يطعِ اللّهَ ورسولهُ فقد فازَ فوزاً عظيماً﴾ .

وبعد فنحمد اللّه إذ وفقنا لنبتدئ بإخراج سلسلة «العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحدّيات» .

وقد قسمت هذه السلسلة إلى خمسة أقسام :

القسم الأول : التعريف بالعقيدة السلفية .

القسم الثاني: التعريف بأصول العقيدة السلفية

القسم الثالث : دراسة تفصيلية للعقيدة السلفية مقرونة بأدلتها من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح رضي اللّه عنهم .

القسم الرابع : قسم التحديات وخطرها على الأمة الإسلامية .

القسم الخامس: هو قسم مواقف السلف، وهو الجزء الكبير من السلسلة، لأَنَّه يبتدئ بالأنبياء ثم صحابتهم وأتباعهم حتى العصر الحاضر، وهذا الجزء الصغير الذي نخرجه للقراء هو من هذا القسم وهو الإمام مالك بن أنس ومواقفه العقدية مأخوذة من موطَّئه ومن المدونة ومن غيرهما مما يُذكر في قائمة المراجع، فيلاحظ القارئ أنَّنا استعملنا كل موقف على حدة حتى يعلم أَنَّ أئمة السلف رضي اللّهُ عنهم ما تركوا ضلالاً يدخل على الأمة إلا وجاهدوه بأقلامهم وألسنتهم وأموالهم كُلٌّ على حسب استطاعته وما وُفِّق إليه، فنرجو اللّه تبارك وتعالى أن يجعلنا على منهاجهم ، ولم أعتن بترجمة الإمام مالك واستقراء مناقبه، فهذا شيء مبذول ومُكَرَّر في كثير من المراجع ، ولكنني انتقيت مواقفه العقدية وما يدل على ذلك، فأرجو اللّه تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وأن يحشرني في زمرة مَنْ خدم العقيدة السلفية ودافع عنها، وأبى اللّه أن يتم كتاباً إلا كتابه، فالعجز والتقصير والغلط والأخطاء من شيمنا، ويكفينا أن لا نتعمد الخطأ، وأن ننشد الصواب، ونتحراه قدر ما نستطيع، وهو حسبي ونعم الوكيل .

محمد بن عبد الرحمن المغراوي

*　　*　　*

المصدر الأول: القرآن

مصادر الإمام مالك العقدية

معلوم أنَّ الإمام مالكاً رحمه اللّه وُلد في سنة ثلاث وتسعين ، عام موت أنس خادم رسول اللّه ﷺ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل وطلب العلم وهو حَدَث بُعْيدَ موت القاسم وسالم(١). أفاده الذهبي في السِّيَر(٢).

ومعلوم أنّ الإمام مالكاً رضي اللّه عنه وُلد في بيئة العلم والعلماء، وأخذ ميراث الرسول ﷺ، وأدرك كبار القرّاء والمحدِّثين .

وعناية الإمام مالك بكتاب اللّه جليّة واضحة، فقد عقد في موطَّئه كتاباً كبيراً سمّاه (كتاب القرآن) ذكر فيه أدب قراءة القرآن، وكيف حُزّب القرآن، واختلاف القراءات في القرآن ، وكيف كان ينزل القرآن على النبي ﷺ، وبعض أسباب نزول القرآن ، وما جاء في سجود القرآن، وبعض فضائل بعض السور في القرآن، وبعض الأذكار التي تتعلق بالقرآن، وقيام الليل بالقرآن، وغير ذلك مما يتعلق بدراسة القرآن دراسة واسعة، وجاء عنه رضي اللّه عنه أنّه دائماً كان يقول: القرآن هو الإمام . وحكى عنه أهل بيته أن متعته كانت في تلاوة القرآن ، وله جزء في التفسير يرويه خالد بن عبد الرحمن المخزومي يرويه القاضي عياض عن أبي جعفر أحمد بن سعيد عن أبي عبداللّه محمد بن الحسن المقرئ عن محمد بن علي المصيصي عن أبيه بإسناده(٣) .

---

(١) القاسم هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق وسالم هو ابن عبد اللّه بن عمر وهما من فقهاء المدينة السبع المشهورين .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٩/٨) .

(٣) اسير أعلام النبلاء (٨٩/٨) .

وقد صنف مكيّ القيسيّ كتاباً فيما رُوي عن مالك في التفسير ومعاني القرآن .

وقد ذكره أبو عمرو الداني في طبقات القراء، وأنه تلا على نافع بن أبي نُعيم، وقال بهلول بن راشد: «ما رأيت أنزع بآية من مالك مع معرفته بالصحيح والسقيم» (١) .

فإذا تقرَّر ما ذُكر، فإنَّ القرآن هو الأصل الكبير للعقيدة السلفية كما بيّنا ذلك في قسم أصول العقيدة السلفية .

المصدر الثاني: السنة

لقد ضرب مالك بسهم كبير في معرفة سنة رسول اللّه ﷺ وفقهها، إضافة إلى علمه بالقرآن ، وأصبح إمامها، حتى إنهم نزّلوا عليه الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**ليضربنَّ الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة** » (٢) .

قال الذهبي: «ويُروى عن ابن عُيَيْنة قال : كنت أقول: هو سعيد ابن المسيّب، حتى قلت: كان في زمانه سليمان بن يسار وسالم بن عبداللّه وغيرهما، ثم أصبحت اليوم أقول: إنه مالك لم يبق له نظير بالمدينة» (٣) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٩٥) .

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٠) وأحمد (٢/٢٩٩) والحاكم (١/٩١) عن أبي هريرة وسنده ضعيف، فيه راويان مدلسان لم يصرحا بالتحديث أو السماع، وهما ابن جريج وأبو الزبير المكي، والحديث قد ضعفه شيخنا الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٤٨). [الناشر]

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٥٦).

قال الذهبي: «قلت كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول اللّه ﷺ وصاحبيه زيد بن ثابت وعائشة ثم ابن عمر ثم سعيد بن المسيب ثم الزهري ثم عبيد اللّه بن عمر ثم مالك .

وعن ابن عيينة قال : مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة في زمانه وقال الشافعي : وصدق وبَرّ، فإذا ذُكِر العلماء فمالكٌ النَّجم .

قال الزبير بن بكار في حديث «ليضربُن الناس أكباد الإبل»: كان سفيان بن عيينة إذا حدث بهذا في حياة مالك يقول: أراه، فأقام على ذلك زماناً ثم رجع بعد فقال: أراه عبداللّه بن عبدالعزيز العمري الزاهد.

قال ابن عبدالبر وغير واحد: ليس العمري ممن يلحق في العلم والفقه بمالك، وإن كان شريفاً سيِّداً عابداً .

قال أحمد بنَ أبي خيثمة : حدثنا مصعب قال: أخبرنا سفيان: نرى هذا الحديث أنّه هو مالك، وكان سفيان يسألني عن أخبار مالك .

قلت : قد كان لهذا العمري علم وفقه جيِّد وفضل، وكان قَوّالاً بالحق آمراً بالمعروف منعزلاً عن الناس، وكان يحض مالكاً إذا خلا به على الزهد والانقطاع والعزلة، فرحمهم اللّه»[١].

قال الذهبي: «ولم يكن بالمدينة عالم من التابعين يشبه مالكاً في العلم والفقه والجلالة والحفظ ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة والقاسم وسالم وعكرمة ونافع وطبقتهم، ثم زيد ابن أسلم وابن شهاب وأبي الزناد ويحيى بن سعيد وصفوان بن سُلَيم وربيعة بن أبي عبد الرحمن وطبقتهم، فلمّا تفانَوْا اشتهر ذكر مالك بها وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن الماجشون وسليمان بن بلال وفليح بن سليمان والدراوردي وأقرانهم، فكان مالك هو المقدَّم فيهم على الإطلاق،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٧ ـ ٥٨) .

والذي تُضرب إليه آباط الإبل من الآفاق». انتهى من السَير[1] .

قال الذهبي: «وكان مالك إماماً في نقد الرجال حافظاً مجوّداً متقناً.

قال بشر بن عمر الزهراني: سألت مالكاً عن رجل فقال: هل رأيته في كتبي؟ قلت: لا، قال: لو كان ثقة لرأيته في كتبي.

فهذا القول يعطيك بأنه لا يروي إلا عمَّن هو عنده ثقة، ولا يلزم من ذلك أنه يروي عن كل الثقات، ثم لا يلزم مما قال أن كل من روى عنه وهو عنده ثقة أن يكون ثقة عند باقي الحفاظ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره، إلاّ أنّه بكل حال كثير التحرِّي في نقد الرجال رحمه اللّه.

ابن البرقي: حدثنا عثمان بن كنانة عن مالك قال: ربما جلس إلينا الشيخ، فيحدِّث جُلَّ نهاره، ما نأخذ عنه حديثاً واحداً، وما بنا أن نتهمه، ولكن لم يكن من أهل الحديث.

إسماعيل القاضي: حدثنا عتيق بن يعقوب، سمعت مالكاً يقول: حدثنا ابن شهاب ببضعة وأربعين حديثاً، ثم قال: أعدْها عليَّ فأعدت عليه منها أربعين حديثاً.

وقال نصر بن علي: حدثنا حسين بن عُرْوة عن مالك، قَدِم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعة، فحدثنا بنيِّف وأربعين حديثاً، ثم أتيناه من الغد فقال: انظروا كتابًا حتى أُحدِثكم منه، أرأيتم ما حدثتكم به أمس أيّ شيء في أيديكم منه، فقال ربيعة: هـهنا من يردُّ عليك ما حدثت به أمس قال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر قال: هات فسردَ له أربعين حديثاً منها، فقال الزهري: ما كنت أرى أنَّه بقي من يحفظ هذا غيري»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٨). (٢) سير أعلام النبلاء (٨/٧٢).

«وروى علي بن المديني عن سفيان قال : رحم اللّه مالكاً ما كان أشدَّ انتقاده للرجال .

ابن أبي خيثمة: حدثنا ابن معين، قال ابن عُيينة ما نحن عند مالك، إنمّا كنا نتّبع آثار مالك، وننظر الشيخ، إنْ كان كتب عنه مالك كتبنا عنه.

وروى طاهر بن خالد الأيلي، عن أبيه، عن ابن عُيينة، قال: كان مالك لا يبلّغ من الحديث إلا صحيحاً، ولا يحدث إلا عن ثقة، ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته، يعني من العلم .

الطحاوي: حدثنا يونس ، سمعت سفيان وذكر حديثاً، فقالوا يخالفك فيه مالك، فقال : أتقرنني بمالك، ما أنا وهو إلا كما قال جرير :

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرنٍ لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس

ثم قال يونس : سمعت الشافعي يقول: مالك وابن عيينة القرينان، ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز .

وقال أشهب: سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن مالك وابن الماجشون، فرفع مالكاً وقال : ما اعتدلا في العلم قط .

ابن المديني: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : أخبرني وُهَيب وكان من أبصر الناس بالحديث والرجال أنه قَدِم المدينة قال : فلم أر أحداً إلا تعْرِف وتُنْكر إلا مالكاً ويحيى بن سعيد الأنصاري .

قال عبد الرحمن بن مهدي: لا أقدِّم على مالك في صحة الحديث أحداً.

الحارث بن مسكين: سمعت ابن وهب يقول : لولا أنِّي أدركت مالكاً والليث لضللت .

هارون بن سعيد: سمعت ابن وهب ذكر اختلاف الحديث والروايات فقال : لولا أني لقيت مالكاً لضللت، وقال يحيى القطان : ما في القوم

أصح حديثا من مالك، كان إماما في الحديث .

قال الشافعي، قال محمد بن الحسن : أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسراً ، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث ، فكان محمد إذا حدَّث عن مالك امتلأ منزله ، وإذا حدَّث عن غيره من الكوفيين لم يجئه إلا اليسير .

قال ابن أبي عمر العدني: سمعت الشافعي يقول : مالك معلمي وعنه أخذت العلم .

وعن الشافعي قال : كان مالك إذا شكَّ في حديث طرحه كله (١).

ولو تتبعنا ما ذكره علماء الجرح والتعديل في الإمام مالك، وفي الثناء عليه والتعظيم لقدره لسوّدْنا صفحات كثيرة، والذي يهمُّنا أن نذكر للقارئ ما يقتنع به أَنَّ الإمام مالكاً كان من كبار علماء الحديث والمتضلعين فيه، والحافظين لروايته والعالمين بأسانيده ورجاله، وإذا كان ذلك كذلك فمن الواضح ومن المعلوم عند أئمة السلف، أَنَّ السنة هي الأصل الثاني للعقيدة السلفية، فلذا كُلُّ ما ذُكر في هذا البحث من المواقف العقدية للإمام مالك فليس بالغريب ، فالأمر على أصله، والإنسان ابن بيئته، وأهل مكة أدرى بشعابها، فخبرته بالقرآن والسنة مكّنته من إمامته في العقيدة، وقبل أن نغادر هذا الأصل نذكر نموذجًا لتمسك الإمام مالك بالآثار السلفية والدفاع عنها مهما كانت الجبهة، ولو كانت حاكماً متسلطاً .

جاء في السِّيَر: قال محمد بن جرير: كان مالك قد ضُرِب بالسياط، واختلف في سبب ذلك فحدثني العباس بن الوليد ، حدثنا ابن ذكوان، عن مروان الطاطري، أن أبا جعفر نهى مالكاً عن الحديث: «ليس على

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧٣/٨ ـ ٧٥) .

مستكره طلاق»[1] ، ثم دسّ إليه من يسأله، فحدثه به على رؤوس الناس، فضربه بالسياط.

وحدثنا العباس : حدثنا إبراهيم بن حماد، أَنَّه كان ينظر إلى مالك إذا أُقيمَ من مجلسه حمل يده بالأخرى .

ابن سعد: حدثنا الواقدي قال : لما دُعي مالك وشوورَ وسُمع منه، وقُبلَ قولُهُ حُسدَ، وبَغَوه بكل شيء ، فلما وَلِيَ جعفر بن سليمان المدينة سعَوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يَرى أيْمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المُكْرَه، أنه لا يجوز عنده، قال: فغضب جعفر فدعا بمالكٍ فاحتج عليه بما رُفع إليه عنه، فأمر بتجريده وضربه بالسياط، وجُبذت يده حتى انخلعت من كتفه، وارتُكب منه أمر عظيم، فوالله مازال مالك بعد في رِفعة وعلوّ .

قال الذهبي : «هذا ثمرة المحنة المحمودة أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حالٍ فهي بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير، و«من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه»[2]، وقال النبي ﷺ: «كل قضاء المؤمن خير له» [3]، وقال الله تعالى : ﴿ولنَبْلونَّكُم حَتَّى نعلَمَ المجاهدينَ منْكُمْ والصَّابرينَ﴾[4] وأنزل تعالى في وقعة أحد: ﴿أوَ لَمَّا أَصَابتْكُمْ مصيبةٌ قَدْ أصبتُم مثلَيْها قُلْتُمْ أنَّى هَذَا قُلْ هُوَ منْ عند أنْفُسكُمْ﴾[5]، وقال: ﴿وَمَا أَصَابكُم مِنْ مُصيبةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيديكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثيرٍ﴾[6] فالمؤمن إذا امتُحِن صبر واتعظ

---

(١) رواه بمعناه معلقاً البخاري (٣٤٣/٩) في كتاب الطلاق موقوفاً على ابن عباس ووصله ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور كما في الفتح (٣٠٣/٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٥) ومالك (١٧٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه أحمد (٢٤/٥) عن أنس، والبيهقي في السنن (٣٧٥/٣) عن صهيب بنحوه، وأصله في صحيح مسلم (٢٩٩٩).

(٤) سورة محمد: آية ٣١. (٥) سورة آل عمران: آية ١٦٥. (٦) الشورى :آية ٣٠.

واستغفر، ولم يتشاغل بذمٍّ من انتقم منه ، فاللّه الحكم المقسط، ثم يحمد اللّه على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له» [1] .

ومن الآثار الكبيرة في السنة موطأ الإمام مالك، وهو يُعتبر من أوائل كتب السنة، وهي شاهدة على صاحبها بالإمامة، وألّفه مالك خوفاً من طائفة الجهمية التي انتشر ضلالها، كما بيّنا ذلك في مواقفه العقدية فيما ذكره ابن تيمية، ومعلوم في الأئمة الأوائل أنّ الإمامة في السنة، هي الإمامة في العقيدة السلفية، فرأس إمامته، وذروة سنامه، وتاجها المكلل، هو العقيدة السلفية .

المصدر الثالث
مشايخه وأساتذته

لقد لقي الإمام مالك كبار المشايخ والفقهاء والمحدّثين والقرّاء الذين ورثوا علم الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ومعلوم أثر الشيخ في تلميذه في حركاته وسكناته، فضلاً عن علمه وعقيدته، وكل متتبع لعلم الجرح والتعديل، يرى أنَّ علم الجرح والتعديل، أُسِّسَ أوّل ما أُسِّس على العقيدة، وكان سببه والدافع إلى إنشائه هو العقيدة، فما أحدثته الفرق الضالة من مذاهب عقدية مخالفة لمنهاج أهل السنة والجماعة، وما أحدثوه من كذب وافتراء على اللّه، واختلاف على رسول اللّه، دفع المحدثين إلى تأسيس علم الجرح والتعديل، فالرواية كان لا يُسمح بها المنحرف في عقيدته ، ومن ثبت عنه انحراف في عقيدته تُركَت الرواية عنه، إذا تبيّن ضلاله أو على الأقل تُحفِّظ منه، فلهذا مشايخ الإمام مالك

---

(١) سير أعلام النبلاء : (٧٩/٨١) .

رحمه الله، كان منبعهم عقدياً، ولهذا ورث عنهم تلك الحكم العقدية، التي ذكرناها في هذا البحث المبارك .

فلقد لقي الإمام مالك مئات المشايخ، وسجّلهم في موطئه، وسُجّلت روايته عنهم في غير موطئه، فإحصاؤهم يعسر ويطول ، والذي يهمُّنا أَنَّ مالكاً استقى عقيدته من محدثين وفقهاء كبار منهم :

محمد بن شهاب الزهري، وإمامته في الحديث معروفة، ومنهم: ربيعة ابن عبد الرحمن الإمام الكبير، ومنهم: هشام بن عروة، ومنهم: عطاء الخرساني، ومنهم سهيل بن أبي صالح: ومنهم يحيى بن سعيد الأنصاري: وقد ذكرهم الذهبي في سِيَرِه مُرتّبين على الحروف، وذكر ما لكل واحد منهم من الأحاديث في الموطأ[1] .

ما جاء في الموطأ في البيعة على العقيدة

عقد الإمام مالك رحمه الله كتاباً في موطئه سماه: (كتاب البيعة). وأدخل تحته أحاديث يدلل بها على العنوان .

والبيعة التي شرعها رسول الله ﷺ، هي البيعة على العقيدة، فبيعة الأنصار التى كانت في العقبة، لم تكن إلا لحماية الرسول ﷺ مما يحمون أنفسهم وأولادهم في تبليغ رسالته، وعمود رسالته ﷺ هو محوُ الشرك وآثاره، ونشر العقيدة الصحيحة السماوية، التى جاءت من عند اللطيف الخبير نقية طاهرة ﴿في كتابٍ مكنونٍ * لا يمسهُ إلا المطهرونَ﴾[2].

فالبيعة لا تكون إلا لإمام المسلمين وخليفتهم، بشروطها التي سيذكرها لنا الإمام مالك في النصوص المرفوعة إلى الرسول ﷺ، فلهذا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٤٩ ـ ٥١).

(٢) الواقعة : ٧٨ ـ ٧٩ .

ما يفعله بعض الدجلة الصوفية، في الاحتيال على الجُهّال والغَفَلَة، من بيعةٍ بالأوراد، فهو عمل شيطاني، لا أصل له في الكتاب والسنة، وما تفعله أيضاً بعض الجماعات والحركات الإسلامية، في الاحتيال على الشباب، وإلزامهم في التحزب معهم في جمهورياتهم، فهذا لا أصل له، وهاك البيعةَ الشرعية من سنة رسول اللّه ﷺ.

◎ روى مالك عن عبداللّه بن دينار أن عبداللّه بن عمر قال : كنا إذا بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا رسول اللّه ﷺ : «فيما استطعتم»[(١)] .

التعليق

فالسمع والطاعة للّه ولرسوله في أحكامه ، ومن يبلغ عن اللّه وعن رسوله، ويقيم شرع اللّه، ويقيم الحدود، ويأخذ الحق من الظالم إلى المظلوم. ويقيم العدل بينهم، ويقيم الصلوات فيهم، ويأخذ منهم الزكاة، ويقيم لهم الحج، ويجاهد بهم الكفار، ويحميهم مما يحمي منه نفسه، ويطعم فقيرهم، ويداوي مرضاهم، فهذا الذي يستحق أن يُعطى الولاء والبيعة الشرعية، وما سوى ذلك فهو مجرد تلصص ولصوصية، يقوم بها جماعة من المحتالين على العقول البشرية.

◎ وروى مالك عن محمد بن المنْكِدر عن أُمَيْمَة بنت رقيقة، أنّها قالت: أتيت رسول اللّه ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام، فقلن : يارسول اللّه

---

(١) رواه مالك (١٧٩٨) واللفظ له والبخاري (٧٢٠٢) ومسلم (١٨٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «فيما استطعت». [الناشر] .

نبايعك على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولانعصيك في معروف ، فقال رسول الله ﷺ: «**فيما استطعتن وأطقتن**» قالت فقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا هَلُمَّ نبايعْكَ يارسول الله فقال رسول الله ﷺ : «**إني لا أصافح النساء إنما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة**» أو «**مثل قولي لامرأة واحدة**» (١) .

وروى مالك أيضاً عن عبد الله بن دينار : أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان يبايعه فكتب إليه، باسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلاهو، وأُقرُّ لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت (٢) .

التعليق :

فالحديث الأول شرحه يطول، والذي يهمنا منه بيعة النساء على التوحيد والعقيدة، وأن النبي ﷺ كان يبايع الذكور والنساء على التوحيد، وهكذا خلفاؤه من بعده كانوا يفعلون، فكانوا يبايعون على التوحيد، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما جاءوا إلا لإقامة التوحيد ﴿وَمَا أرسَلنا مِنْ قبلكَ من رسولٍ إلا نوحِي إليه أنَّهُ لا إلهَ إلا أنَا فاعبدُونِ﴾(٣) ومما استُفيد من الحديث ترك مصافحة النساء مع طلبهن لذلك من رسول الله ﷺ، وقد ورد في النهي عن مصافحة النساء

---

(١) صحيح. رواه مالك (١٧٩٩) والترمذي (١٥٩٧) والنسائي (٤١٩٢) وابن ماجه (٢٨٧٤) وأحمد (٣٥٦/٦) وغيرهم ، عن أميمة بنت رقيقة، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٣٠٠). [الناشر].

(٢) رواه مالك (١٨٠٠) .

(٣) الأنبياء آية: ٢٥.

أحاديث كثيرة، لكن المسلمين لجهلهم لها، وتشوقهم إلى الميوعة والانحلال، درجوا على مصافحتهن، كبارهم وصغارهم ، بل لم يقف الأمر عند المصافحة، بل المعانقة والقُبل في الوجوه، بزعم أنهم يؤدون تحية السلام، والإسلام بريء منهم، ولكنه اختلاس شيطاني يختلسه منهم ، فصلى اللّه على نبينا، ورضي اللّه عن صحابته الكرام، حيث وقفوا عند النصوص، وبها اقتدوا، وعليها قاتلوا .

حديث الفطرة في موطأ مالك

● روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنّ رسول اللّه ﷺ قال : «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرَانه، كما تُنَاتَجُ (*) الإبل من بهيمة جمعاء، هل تحس من جدعاء**» قالوا: يارسول اللّه، أرأيت الذي يموت وهو صغير قال: «**اللّه أعلم بما كانوا عاملين**» (١) .

التعليق :

هذا الحديث مما اختلفت فيه أنظار العلماء وتوجيهاتهم ، والذي يظهر أن الحديث يعني: أَنّ اللّه خلق الإنسان، وأعطاه من الاستعداد للتعرف عليه والاستقامة على دينه، ما لم يعطه للبهائم والحيوانات، فهو مستعد لقبول ما يطبع فيه من خير، فلهذا يجب علينا أن نشغل أبناءنا وأولادنا بتعليمهم العقيدة الصحيحة التي وُجِدوا من أجلها، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢)، فخلقهم لعبادته

(*) أي: تولد .

(١) رواه البخاري (٦٥٩٩) ومسلم (٢٦٥٨) ومالك (٥٧١) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه. [الناشر]

(٢) الذاريات: آية ٥٦.

وحده ولم يخلقهم لغير ذلك، فاستعداد الإنسان لعبادته وحده هو الأصل، وهو صريح القرآن وصحيح السنة: «**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»[1] فلهذا، التحريف عن هذا الأصل هو الطارئ: ﴿وَإِذْ أخذَ رَبُّكَ منْ بني آدمَ مِنْ ظُهُورهِمْ ذريَّتهُم وأشْهَدهُمْ على أنفُسِهِمْ ألستُ بِربِّكُمْ قَالوا بلَى﴾[2] فاللّه تبارك وتعالى أخرجهم في عالم الذرِّ، واستفهمهم عن نفسه، فشهدوا له بالربوبية، فلهذا في هذا الحديث قال: «**يهوِّدانه أو ينصرانه**»، فالتحريف طارئ وليس بالأصل، ولهذا اختلفوا في أبناء المشركين ما مصيرهم في الدنيا وفي الآخرة، والذي دلت عليه النصوص وأعمال الرسول ﷺ، وهو الموافق لعدل اللّه ورحمته بعباده، هو البراءة ولا يُلْزَمون بأيِّ حكم من الأحكام التي تجري على آبائهم.

*   *   *

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٢) الأعراف: آية ١٧٢.

موقف مالك من البدع والمبتدعة

نسوق في هذا الموقف نصوصاً جاءت عن الإمام مالك في ذمِّ البدع والمبتدعة كيفما كان نوعها .

• جاء في الاعتصام[1] للشاطبي: «وقال مالك : قُبِضَ رسول اللّه ﷺ وقد تمّ هذا الأمر واستكمل ، فينبغي أَنْ تُتبع آثار رسول اللّه ﷺ وأصحابه، ولا يُتبع الرأي، فإنه من اتّبع الرأي جاءه رجل أقوى في الرأي منه فاتبعه ، فكلما غلبه رجل اتبعه، أرى أن هذا بعد لم يتم .

واعملوا من الآثار بما رُوِيَ عن جابر رضي اللّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «**قد تركت فيكم ما إذا اعتصمتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض** » [2] .

التعليق :

هذا النص من جوامع الحِكَم والكلِم لعلماء الإسلام، يرى الإمام مالك أن يحصر الدين في الكتاب والسنة، ويرى أن الأمر قد انتهى بقبض رسول اللّه ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وأنه لم يترك مجالاً لأحد يأتي بعده،

---

(١) الاعتصام (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

(٢) رواه مالك (١٦١٩) معضلاً، لكن له شاهد من حديث ابن عباس رواه الحاكم بسند حسن ورُوي أيضاً من حديث أبي هريرة وغيره، وهو حديث صحيح، انظر الأحاديث الصحيحة (١٧٦١).

وأنَّ الكمال في اتباعه ﷺ، وأن الرأي لا قرار له ولا ميزان مهما كان قائله، وإلا لا معنى للنبوة والرسالة، إنْ فتحنا باب الرأي في دين اللّه، فعلماء المسلمين يجب عليهم أن يتعلموا النصوص القرآنية والنبوية، وأَنْ ينوِّروها بالآثار السلفية، وأن يوجِّهوها بما مَنَّ اللّه تبارك وتعالى عليهم بفهم مُنْتَزَعٍ من الكتاب والسنة، هذا في مجالات محدودة .

◉ وجاء في سير أعلام النبلاء : قال الذهبي: «وبه حدثنا محمد بن أحمد بن علي، حدثنا الفريابيّ، حدثنا الحُلْواني: سمعت مُطرفَ بن عبد اللّه، سمعت مالكاً يقول: سنّ رسول اللّه ﷺ وولاة الأمور بعده سُنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب اللّه، واستكمال لطاعة اللّه، وقوَّة على دين اللّه، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، مَن اهتدى بها فهو مُهتد ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه اللّه ما تولى، وأصلاه جهنم وَساءت مصيراً»(١) .

التعليق :

هذا نص عظيم وقاعدة كبرى في الدين ، من تمسَّك بها نجا، ومن انحرف عنها هلك، الدين كمل بسنة رسول اللّه ﷺ، وخلفاؤه بعده أَحْيَوْها وثبَّتوها في قلوب المسلمين، وأقاموا معالمها عقيدةً وعبادةً وأخلاقاً ونكاحاً وطلاقاً وبيعاً وشراءً وحكماً وقضاءً وجهاداً وغزواً ولباساً وذهاباً وإياباً، وفي كُلِّ الحركات والسكنات أقاموا دولة الإسلام، وقضوا على أعلام الكفر والشرك والأصنام، ومَحقوا البدع والمبتدعة، وما تركوا أحداً يرفع رأساً إلا بسنة وكتاب، فبهما يتحركون وبهما

(١) السير (٨/ ٩٨) .

يغزون، وإليهما يدعون، تسبيحهم وذكرهم هو كتاب الله، وغرسهم وثمارهم هو سنة رسول الله ﷺ، فماذا يستدرك المتأخرون وما عساهم أن يفعلوا، ألَمْ يبيِّن أولئك المِنْهاج، واستكملوا الطريق وعبَّدُوها، فالاستدراك عليهم وقاحة، والبدعة ضلال وانحراف، وغرور وظلم، وخروج عن دين الله، فهدي النبي والسلف، هو الهدي الذي يجب اتباعه، ومن ابتغى غيره فكما قال هذا الإمام طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثوانا ومثواه: ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاّه الله ما تولَّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. فهل هناك أصرح من هذه العبارة من هذا الإمام في الدعاء على المبتدعة على اختلاف أنواعهم ؟ والله المستعان .

● وفيه أيضاً عنه قال: «وبه إلى الحلواني سمعت إسحاق بن عيسى يقول : قال مالك: أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله .

وبه حدثنا الحسن بن سعيد، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو ثور، سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاء بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بيِّنة من ديني، وأما أنت فشاكّ، اذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه» (١) .

التعليق :

رحمة الله على الإمام مالك حيث أُشرِبَت النصوصُ في قلبه، وأُشْرِب حبُّها، وأصبحت نوره الذي يستضيء به، ويرفض كُلَّ ما سواها، ويعتبر أصحاب الخُصومات شاكّين في دينهم ليس عندهم إلا الظنّ والتخمين

---

(١) السِّير: (٨/ ٩٩).

والخَرَص، فهم الخرّاصون، كما قال اللّه تعالى: ﴿ **قُتِلَ الخَرَّاصُونَ * الذينَ هُمْ في غَمْرةٍ سَاهُونَ**﴾[1] . فترك النصوص عند الإمام مالك جريمة كبرى، يلزم منها التنقل في دين اللّه في كل لحظة ، فالرجال الذين لا عناية لهم بالنصوص، لا ينبغي لنا أَنْ نأبه بهم، ولا أن نقيم لهم وزناً، مهما بلغت عقليتهم وفرط ذكائهم ، فقد يُؤتى الرجلُ ذكاءً ولا يُؤتى زكاةً، والتزكية هي العلم بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، والفقر والفرقة هو الاشتغال بأقوال الرجال والخصومات التي لا تنتهي إلا باللعن والشتم، وربما تؤدي إلى المفارقة والقتل ، فمعرفة النصوص والعناية بها، هو جمع كلمة المسلمين على منهاج واحد، مهما بَعُدت أقطارهم ومنازلهم، والاشتغال بأقوال الرجال، والعكوف عليها، والوقوف عندها، تفرِّق بين المرء وزوجه، وبين الابن وأبيه، وبين الأخ وأخيه، فضلاً عن أن تجمع شمل المسلمين فالذين يريدون جمع شمل المسلمين، ولم ترضهمَ الفرقة الحاصلة في صفوف المسلمين، فعليهم أن يكرِّسوا جهودهم في إرجاع المسلمين إلى مصادر السنة الصحيحة، وأَنْ يُبْعدوهم عن كتب الخرافات والدجل والآراء الفقهية والصوفية البعيدة عن الدليل، بل البعيدة عن الأصول الإسلامية الكبرى، واللّه المستعان .

◉ وجاء في المدارك: قال رحمه اللّه: «ولم يكن من أمر الناس، ولا مَنْ مضى من سلفنا، ولا من الذين يُقتدى بهم، ومُعَوَّل الإسلام عليهم، أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقولون: أنا أكره كذا، وأرى كذا، وأما حلال وحرام ، فهذا الافتراء على اللّه، أما سمعتم قول اللّه تعالى: ﴿قُلْ أَرَأيتُمْ مَا أنزلَ اللهُ لَكُمْ مَنْ رزقٍ فجعلتُمْ منهُ حراماً وحلالاً قُلْ

(١) سورة الذاريات: الآيتان ١٠ ـ ١١.

آللهُ أذِنَ لَكُم أمْ على اللهِ تَفْتَرُونَ ﴾»(١) (٢) .

التعليق :

هذا النص العظيم يبيِّن لنا توارث المنهاج السلفي خلفاً عن سلف، في الوقوف مع النص، وعدم الجرأة على التلفظ بتحليل أو تحريم، وإِنْ فهموا من النص ما يدل على ذلك، أو بدراسة الأصول ومقارنتها ما يُفهَم من ذلك، ومع ذلك خوفهم من اللّه يمنعهم مقارنة أنفسهم بمَنْ لا ينطق عن الهوى، الذي يأخذ أحكامه من السماء، وهو على يقين من أمره، لأَنَّه مُبلِّغ عن اللّه، فالحلال ما أحله اللّه، والحرام ما حرّمه اللّه ، والشرع ما شرعه اللّه، والفرض ما فرضه اللّه ، والواجب ما أوجبه اللّه، والمستحب ما أحبه اللّه، والمكروه ما كرهه اللّه، والمباح ما أباحه اللّه، فليس لأحد نصيب من هذه الأحكام، مهما بلغ علمه، ومهما شاخ عمره ، فما بال أهل زماننا وقبله شرّعوا للناس عبادات، وَدَعَوْهم إليها، وقيّدوها بزمان ومكان، وبأعداد وأوراد، وشرعوا مواسم وأوقاتاً وحدوداً وأعداداً، وقعّدوا قواعد، ﴿ما أنزلَ الله بها من سلطان﴾، وخصَّصُوا لأناس شكلاً ولباساً معيناً، واعتقدوا التحليل والتحريم لمشايخهم وساداتهم وأئمتهم، وقراءة مثل هذه النصوص من أئمة السلف، كافية في معرفة بطلان ما عليه القوم، الذين ملؤوا الدنيا بدعاً وصياحاً وشطحاً وزعقاً، وغير ذلك مما هو مشاهَد في هذا الزمان، واللّه المستعان .

● وجاء في الاعتصام : «قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي، فصلَّى ووضع رداءه بين يدي الصف، فلما سَلَّم الإمام رمقه الناس

---

(١) سورة يونس: آية ٥٩.
(٢) (١/١٧٩).

بأبصارهم، ورمقوا مالكاً، وكان قد صلى خلف الإمام، فلما سلَّم قال: مَنْ ههنا من الحرس؟ فجاءه نفسان، فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه، فحُبس، فقيل له : إنَّه ابن مهدي، فوجّه إليه وقال له: ما خفت اللّه واتقيته، أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف، وشغلت المصلين بالنظر إليه، وأحدثت في مسجدنا شيئاً لم نكن نعرفه ، وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في مسجدنا حدثاً فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين»[1] فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ألا يفعل ذلك أبداً في مسجد رسول اللّه ﷺ ولا في غيره» [2] .

التعليق :

ما أحسن هذه النصوص، وما ألطفها وألذّها، تعطي نموذجاً صالحاً صارماً في التمسك بالسنة، وسدّ أبواب الذرائع على البدع قليلها وكثيرها، وتخبرنا بأن علماء سلفنا الصالح كانت حراستهم على السنة والكتاب، أكثر من حراسة أصحاب الكنوز على كنوزهم، ومن الخائفين من أعدائهم، فلم يتوان الإمام مالك في عقوبة من رآه يعمل عملاً لم يكن عليه السلف الصالح ، فهؤلاء هم العلماء، وهؤلاء هم الشعوب الصالحة الذين لا يتأخرون عن كلمة علمائهم، فيرون أمرهم واجب الطاعة، ذلك لما يرونه فيهم من تمسكهم بسنة رسول اللّه ﷺ، فأين علماء اليوم من أعلام الشرك ومظاهره، ومن البدع الكبرى والصغرى، التي لا يخلو منها زمان ولا مكان، فبدّلوا وغيّروا ووقفوا مثل هذه الوقفات العظيمة

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٧) ومسلم (١٣٦٦) وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، لكن بلفظ: «فيها» أي المدينة، ولم أقف عليه بهذا السياق الذي نقله المؤلف، فالله أعلم.

(٢) (٢/ ٦٨).

من هذا الإمام الكبير ، وأين مَنْ يزعمون أنفسهم مالكية، ومالك مُشَرِّق وهم مُغرِّبون، فهو ينصر السنة ويذبُّ عنها، وهم يحاربونها ، أينما حلّت وارتحلت بأشكال وألوان المحاربة، فإن كانوا مالكية حقاً، فبمثل هذه المواقف فليقتدوا، وإلا كما قال القائل :

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

والله المستعان .

● وجاء في الاعتصام : قال: «وحكى ابن العربي عن الزبير بن بكّار قال : سمعت مالك بن أنس، وأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل ، قال: فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، فقال : وأيُّ فتنة هذه إنما هي أميال أزيدها ، قال: وأيُّ فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذينَ يخالفونَ عَن أمرِهِ أنْ تُصيبَهُم فتنةٌ أو يُصيبَهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾» (١) (٢) .

التعليق :

فلا أدري ماذا يقول مبتدعة أهل هذا الزمان، الذين أباحوا لأنفسهم حق التشريع الذي لا حدّ له ولا مقياس، فكلَّما رأوا أنه يخدم مصلحتهم قالوا فيه بدعة حسنة، وماذا ! فإن هذه طاعة لله، فمن ينكرها يعتبرونه ملحداً، وأتى بدين جديد، وربما نبذوه بلفظ وهابي أو أصولي أو متطرف،

---

(١) سورة النور : آية ٦٣.

(٢) (١/ ١٣٢).

أو من الإخوان المسلمين أو من أهل التكفير والهجرة، وما إلى ذلك من الألفاظ التي يلقيها إبليس على ألسنتهم، ولا يسأل هل فعل هذا الأمر رسول اللّه، أو قاله رسول اللّه، أو فعله الصحابة، أو قاله الصحابة، لأن مثل هذا البحث نتيجة الوقوف عند المشروع من كتاب أو سنة، والإمام مالك رحمة اللّه عليه لا يسمح لمستفتيه، أن يتجاوز ما فعله رسول اللّه ﷺ في الإحرام، ويرى أن الزيادة، وهو ما يسميه المبتدعة: البدعة الحسنة فتنة، وأيُّ فتنة أعظم من الزيادة على شرع اللّه؟! سواء سمَّيناه بدعة حسنة، أو أعطيناه أيَّ لفظ آخر، فالمبتدعة على كل حال أصحاب فتنة، وهم مفتونون، فكل من أحدث في أمة محمد ﷺ ما لم يشرعه النبي ﷺ فهو صاحب فتنة، والمتتبع لتاريخ الإسلام والمسلمين وأحوالهم الاجتماعية والتربوية، يرى أَنَّ الفتن التي توالت عليهم طيلة تاريخهم، سببها فتنة البدع والمبتدعة، فجمْع الشمل في اتباع السنة، والفرقة الكبرى في إحداث البدعة والدعوة إليها، وما أكثر هذا في أهل هذا الزمان، نسأل اللّه لنا ولهم الهداية، وقد جاء تفسير الفتنة في الآية بالشرك، فليحذر المسلم من أن تصدق عليه الآية بكل معانيها .

ماذا يقول من يقول : إنما هي أذكار أزيدها، وإنَّما هي صلوات على النبي ﷺ أصليها؟! واقرأ كتاب (دليل الخيرات) لمحمد بن سليمان الجزولي، وانظر فيه كم من الصلوات المشروعة التي صحّت عن رسول اللّه ﷺ والصلوات المضافة، وانظر حزب البَرّ وحزب البَحْر للناصري وصلاة ابن مشيش وغيرها، مما انتشر على ألسنة العوام وأشباههم، الذين لا يبالون بالمشروع وغير المشروع، فأصل الإمام مالك هذا ينطبق على كل كتاب وكل ذكر وكل طريقة وشيخها، وكُلّ من يزعم أنه يتعبد للّه ويتقرَّب إليه، فمن كان يحب مالكاً، ويرى فيه الأهلية

للاجتهاد والاستنباط، فهذا أصله وقاعدته، التى استخرجها من كتاب اللّه وسنة رسوله ، ومن عمل السلف الصالح رضوان اللّه عليهم. فأين الثَّرى من الثريَّا؟! فأين مالك ومن يزعمون أنهم مالكية ؟ واللّه المستعان .

● وجاء في ذمّ الكلام: «عن مالك رحمه اللّه قال : السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق» (١) .

التعليق :

هذا التصوير العظيم لسنة رسول اللّه ﷺ ، يدلُّ على بلاغة الإمام مالك وتصوّره الواسع وفراسته القوية، وأنَّه من المُحدَّثين أي المُلْهَمين، فأهل السنة والجماعة المعتصمون بالكتاب والسنة، في أمن وأمان، في نجاة وسلامة: ﴿أولئكَ لهمُ الأمنُ وهم مهتدونَ﴾(٢). وأهل البدع والشرك فارقون مفتونون بكل فتنة، متنقّلون شاكون لا قلبٌ مطمئن، ولا جسمٌ مستريح ، أموال تُنفق بلا حدّ ولا حصر، وموائد تقدم بألوان من الأكل ، وبيوت تفتح بالليل والنهار، يدخلها عشرات المبتدعة، وزوايا تعجُّ بجماعات من الحيارى، كل هذا سيكون وهو كائن حسرة على أصحابها، ونعوذ باللّه من الخذلان، أجسام تنفق ساعاتها في عبادات - بزعمها - لم تؤمر بها، ومع ذلك كما قال اللّه تعالى: ﴿خاشعةٌ * عاملةٌ ناصبةٌ * تَصلَى ناراً حاميةً﴾(٣)، وكما قال تعالى: ﴿أفَمَنْ زُيِّنَ لهُ سُوءُ عَمله ِ فرآهُ حَسَناً﴾ (٤). فلهذا كرّس علماؤنا جهودهم في تثبيت هذه

---

(١) ص ١٧٤ خ .

(٢) الأنعام : آية ٨٢ .

(٣) الغاشية: الآيات ٢ - ٤.

(٤) فاطر: الآية ٨ .

القاعدة ، وهذا الأصل الذي أشار إليه الإمام مالك، فانظر هداك اللّه ورعاك ببصرك وبصيرتك في شرق العالم وغربه، واعتبر الناس كلهم في صعيد واحد، تشاهدهم وتشرف عليهم، هل ترى أنّهم راكبون في سفينة النجاة، وهي سنة رسول اللّه ﷺ، أو هم كما صوّرنا في هذه الكلمة القصيرة، تتلاطمهم أمواج البدع والكفر والشرك، والمذاهب الكفرية الهدامة، والبدع على اختلاف أنواعها، وتقتل منهم ملايين البشر في كل ثانية ونَفَس، ومع ذلك لا ينتبهون ولا يلتفتون، ويحسبون أنهم محسنون ومهتدون، وهم عن الحق عادلون، فرحمة اللّه على الإمام مالك ما أغزر حكمته وأجمعها، لمن شاء أَنْ يعقل عنه .

● وجاء في الاعتصام : «وحكى ابن وضاح قال : ثوَّبَ المؤذن بالمدينة في زمان مالك، فأرسل إليه مالك فجاءه، فقال له مالك : ما هذا الذي تفعل ، فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا، فقال له مالك: لا تفعل لا تُحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه، قد كان رسول اللّه ﷺ بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان، فلم يفعلوا هذا، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه، فكفّ المؤذن عن ذلك ، وأقام زماناً ثم إنه تنحنح في المنارة عند طلوع الفجر، فأرسل إليه مالك فقال له : ما الذي تفعل، فقال أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، قال له : ألم أنهك؟ لا تحدث عندنا ما لم يكن ، فقال : إنما نهيتني عن التثويب، فقال له : لا تفعل، فكفّ زماناً، ثم جعل يضرب الأبواب، فأرسل إليه مالك، ما هذا الذي تفعل ، فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال له مالك: لا تفعل لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه» (١) .

---

(١) (٢/ ٦٩) .

التعليق :

بمثل الإمام مالك حفظ اللّهُ هذا الدين، وبقي وكأنه ينزل من السماء آيات وأحاديث، كأن رسول اللّه ﷺ يخاطب أمته، فلم يبدّل ولم يغيّر، وذلك لما هيأ اللّه له من رجال جهابذة، قدروا القرآن والسنة حق قدرهما، وإلا فما هذا من الإمام مالك يتبع النقير والقطمير، ويذبّ عن سنة رسول اللّه ﷺ القليل والكثير، ويسدّ جميع الثغرات والنوافذ، التي يمكن أَنْ يلج منها من يريد بالإسلام ما يريده، ولو عُرضت هذه الصورة التي وقفها الإمام مالك على أحد علماء المسلمين الجهلة بدين اللّه لقال : وماذا، مؤذن يريد الخير للمسلمين ، يوقظهم للصلاة بوسائله الخاصة فمن يقف أمام هذا فهو متنطع متشدّد غالٍ، ولكن لا يدري المسكين ماذا يحدث بعد هذا، وقد كان ما توقعه الإمام مالك رحمة اللّه عليه، فقد حدث من الألفاظ والأصوات الشركية والبدعية على منارات المسلمين بالليل والنهار بأنغام وأناشيد وأشعار واستغاثات بغير اللّه ، وشركيات وبدع، أحدثها الروافض ومن سار في دربهم، واستحسنها المسلمون في كل بقعة من بقاع الأرض، إلا بعض البلاد التي طهرها اللّه من الشرك والبدع، وهي قليلة لا تمثل نقطة من بحر، وعلماء المسلمين ساكتون، مستحسنون لهذه الأعمال البدعية والشركية، ويشاركون في ذلك، ويثنون ويمدحون هذه الأعمال، بل ربما خُصصت أوقاف وجوائز للقائمين بهذه الأعمال البدعية .

ولو قام الإمام مالك ورأى ما أحدثه المحدثون، من تثليث في الأذان يوم الجمعة، ومنصّة بين يدي الخطيب، وتلاعب بكتاب اللّه قبل صعود الخطيب، وضجيج في المساجد، الأسواق أهدأ منها، ماذا سيقول الإمام مالك؟ أيستحسن هذا! أو يقول: لا تحدثوا في ديننا ما لم يكن منه؟ ولكن

أين المقتدون بالإمام مالك، والذّابون عن سنة النبي ﷺ؟ هم في القبور، ولعلّ الله تعالى يهيئ لأمة محمد مثل هذا الإمام، ويهيئ رعية تسمع لمثل هذا الإمام، ويهيئ أعواناً وأنصاراً تنصر مثل هذا الإمام، واللّه المستعان.

● وجاء في ذمِّ الكلام : عن الإمام مالك قال : «من أراد النجاة فعليه بكتاب اللّه وسنة رسوله» (١) .

وجاء في الاعتصام: «قال ابن حبيب: أخبرني ابن الماجشون أنه سمع مالكاً يقول : التثويب ضلال، قال : مالك: ومَنْ أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول اللّه ﷺ خان الدين لأن اللّه تعالى يقول: ﴿اليومَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٢) فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً». (٣)

التعليق :

وهل بعد هذه الصراحة من صراحة ؟ وهل بعد هذا الحكم من حكم آخر؟ الإمام مالك يُرجع دين اللّه إلى الكتاب والسنة وإلى تطبيق الصحابة والتابعين لهما، ويرى في ذلك كمال الدين.

عقيدة كاملة منتهية، عبادات تامة، أخلاق كاملة، زهد وتربية وورع في غاية التمام، فماذا بعد هذا ؟ ألا يكفي للمسلم أن يكون هذا نموذجه وقدوته، فماذا سيأتي به المبتدعة من الجديد؟ اللهم إلا إذا كانت رسالة جديدة تقوم مقام السابقة، فلذا كان يرى الإمام مالك أن عدم الكفاية والاكتفاء بما كان عليه سلف الأمة بما فيها نبيها ﷺ، هو اتهام للنبي

(١) ص ١٧٥ خ .
(٢) سورة المائدة آية ٣.
(٣) (٢/٥٣).

ﷺ بالخيانة في رسالته، ولا شكَّ أنَّ من اعتقد هذه العقيدة هو كافر إجماعاً ، وهذا الإلزام الذي ألزم به الإمام مالك كُلَّ مبتدع، يجعل كل عاقل مسلم يقشعرُّ جلده ويقفُّ شعره، ولا يخطو خطوة في دينه إلا بنص من كتاب أو سنة، وإلا كما قال الإمام مالك : فقد زعم أَنّ محمداً قد خان الرسالة، ويا لها من عقيدة سيئة تجري بصاحبها في أسفل سافلين .

● جاء في الاعتصام : وخرّجه ابن وضاح وَهو في العتبية من سماع ابن القاسم عن مالك رحمه اللّه، «أنه سُئل عن قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ مراراً في الركعة الواحدة، فكره ذلك، فقال: هذا من محدثات الأمور التي أحدثوا»[1] .

التعليق :

هذا في زمان الإمام مالك، وما بينه وبين الرسول ﷺ إلا التابعون والصحابة، ومع ذلك يشتكي من أهل زمانه في إحداث أمور جديدة في دين اللّه فماذا يقول في القرون المتأخرة التي نُسيت فيها سنّةُ رسول اللّه ﷺ علماً وعملاً وحكماً وعقيدة وعبادات ومعاملات، فكل من أراد أن يحتال على جماعة من الناس نصب لهم فخاً، وقال: هذه قربات، ولجهل الناس يتسابقون إليها، ولا يدري المساكين أنهم واقعون في المصيدة، وبُعْدُهم عن اللّه هو المصيبة، وعلى كل حال ، فالإمام مالك يمنع الأشياء المحدثة، ولو كان ذلك في أمهات القرآن، فمن يعترض على

(١) (١٥/٢) .

قراءة سورة الإخلاص، وهي تعدل ثلث القرآن، ولكن الكيفية في قراءتها زماناً ومكاناً وصفة وطريقة، لم تكن من أمر رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام ولا التابعين لهم بإحسان، فالهدي هديهم والنهج نهجهم، والخير خيرهم، والبركة بركتهم، فاتباعهم نجاح وفلاح، ومفارقتهم سخط وعقاب، ويالله من حال المسلمين من مفارقتهم للمنهاج السلفي الواضح السليم، واتباعهم لكل شاهق وناهق!

● جاء في الاعتصام: «قال مالك: أوّل مَنْ جعل مصحفاً ابن يوسف، يريد أنه أوَّل من رتّب القراءة في المصحف إثر صلاة الصبح في المسجد، قال ابن رشد: مثل ما يصنع عندنا اليوم»، قال الشاطبي: «فهذه محدثة أعني وضعه في المسجد، لأن القراءة في المسجد أمر مشروع في الجملة معمول به، إلا أن تخصيص المسجد بالقراءة على ذلك الوجه محدث، ومثله وضع المصاحف في زماننا للقراءة يوم الجمعة وتحبيسها على ذلك القصد» (١).

التعليق:

قراءة القرآن من أفضل القُرَبِ إلى الله وخير ما يُتعبد به، وقراءة الحافظ له أجر وثواب، والقارئ في المصحف مأجور على قراءته، ولكن إحداث ما يخالف المنهاج السلفي الصحيح يؤدي بصاحبه إلى الإثم، لأن المساجد مشاعة بين المسلمين، وأنها ملك جماعة المسلمين، فهي بيوت الله. فتجب صيانتها من الأقذار والأوساخ الحِسِّية، وتطييبها وتهيئتها للمصلين جماعات وفرادى، والذاكرين والقائمين والراكعين، فلا

---

(١) (١/١٩٢).

تشويش ولا ضوضاء ولا رفع للأصوات، فمن أحدث فيها ما لم يكن عليه سلف الأمة ـ ولو كان ذلك بالذكر والقراءة في المصحف ـ فهو مبتدع، وتصدق عليه أحاديث اللعن لكل مبتدع، فترتيب قراءة الأحزاب والأوراد والأدعية بصفة جماعية إثر كل الصلوات أمر مبتدع مُحْدَث، يأثم فاعله والمشارك فيه والمؤيد له والقائم عليه، هذه هي الحقيقة التي يرمي إليها الإمام مالك وابن رشد والشاطبي، وكلهم فحول وأئمة، فبالسلف نقتدي.

● وجاء في الاعتصام أيضاً: «ويشبه هذا ما في سماع ابن القاسم عن مالك في القوم يجتمعون جميعاً فيقرؤون في السورة الواحدة مثل ما يفعل أهل الإسكندرية، فكَرِه ذلك، وأنكر أن يكون من عمل الناس ، وسُئل ابن القاسم أيضاً عن نحو ذلك، فحكى الكراهية عن مالك، ونهى عنها ورآها بدعة، وقال في رواية أخرى عن مالك: وسُئل عن القراءة بالمسجد، فقال : لم يكن بالأمر القديم، وإنما هي شيء أُحْدِث، ولم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أَوَّلُها، والقرآن حسن» [1] .

التعليق :

هذا النص يؤكد ما سبق من مذهب الإمام مالك وأصوله العظيمة التي لا ترضى بغير السنة بديلاً، وقد وقع ما حذَّر منه الإمام مالك، فاجتمع الناس في المساجد، وصاح بعضهم على بعض بالقرآن، وقطعوا

---

(١) (٣/٢) .

آياته، وحرَّفوا معانيه، وبعضهم يبدأ بأول الكلمة فيقرأ نصفها، والآخر يكمل له، زيادة على الأشعار والصلوات البدعية التي تُقرأ في كل وقت وحين، فأين مالك وأصحابه من مبتدعة أهل هذا الزمان الذين أباحوا لأنفسهم كل عمل، ورأوا تثبيت أمورهم ومصالحهم الشخصية العامة والخاصة في القيام على هذه الأمور البدعية، وحمايتها والذوْد عنها بتأليف الكتب وإصدار الفتاوى، التى لا مستند لها إلا الصدر، وادعاء أن هذه من مقومات الوطن ، فمتى كان الوطن ومقوماته حاكماً على الإسلام؟ فالمسلمون جميعاً وطنهم الأرض كلها، ودينهم واحد، وعقيدتهم واحدة، فلا دين للمشرق وحده، ولا دين للمغرب وحده، ولا للشمال وحده، ولا للجنوب وحده، فدين اللّه واحد، ووطن المسلمين واحد ، وما حدث من تسمية دول معيَّنة بأسماء مختلفة، إنما هو من تخطيط الصهاينة القدماء والمحدثين ، ومن أعمال المستعمر القديم والحديث، وإلا فما معنى الخلافة الإسلامية، التي يجب أن يدخل تحت لوائها كل مسلم، وهي حماية لكل مسلم من كل معتد ظالم، اللهم أيقظ المسلمين، وألهمهم رشدهم، وخذ بيدهم إلى الطريق المستقيم، وامحق البدع والمبتدعة وكُلَّ من يقوم عليها، ويدعو إليها، كائناً من كان أميراً أو مأموراً، واللّه المستعان .

• جاء في الاعتصام : «قال ابن الماجشون : سمعت مالكاً يقول ، من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن اللّه يقول: ﴿اليومَ أكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (١). فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً» (٢) .

---

(١) المائدة: الآية ٣. (٢) (١/٤٩) .

وجاء في الاعتصام : «حكى عياض عن مالك من رواية ابن نافع عنه قال: لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها دون الإشراك بالله شيئاً، ثم نجا من هذه الأهواء، لرجوت أن يكون في أعلى جنات الفردوس، لأن كل كبيرة بين العبد وربه هو منها على رجاء، وكلّ هوى ليس هو على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم» (١) .

التعليق :

ما نزال نعيش مع هذه النصوص القيّمة التي تؤكد لنا صدق نوايا سلفنا الصالح، وتبيّن لنا مدى مفارقتهم للبدع والمبتدعة ، فالإمام مالك رحمة الله عليه يرى أنّ الذنوب كبيرها وصغيرها، صاحبها على رجاء يرجو من الله مغفرتها، وأما صاحب البدع ليس على رجاء، لأن البدع مشاركة لله تعالى في تشريعه ودينه ، فالتشريع خاص به ومقصور على حقه، فمن نازعه فيه قصم ظهره، وأصلاه سعيره، فلو كان المبتدعة يقفون على هذه المواقف من هؤلاء الأئمة، ما أظنهم يستمرُّون على بدعهم، ولكن إعراضهم عن قراءة هذه النصوص وهذه المواقف المشرِّفة، جعلهم يذهبون وراء كل مبتدع وبدعة، ويرون فيها القربة، هذا إنْ أَحْسنَّا بهم الظن، وأنه لا مصلحة لهم دنيوية، وإلا فالأمر أعظم وأطمّ .

○ وجاء في السِّيَر: «عن إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو مصعب عن مالك قال : لا يؤخذ العلم عن أربعة، سفيه يُعلن السَّفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يَكْذبُ في حديث الناس ، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يُحدِّث به». (٢)

---

(١) (١/١٣٠) .

(٢) السير (٨/٦٧ – ٦٨) .

التعليق :

انظر رعاك اللّه إلى هذا النهج الدقيق في تلقي العلوم الشرعية، وأن صاحبها وشيخها مهما توفرت فيه الأهلية العلمية، لابد أن يكون صاحب سنة، وألا يخالط البدعة عقيدة وعلماً وعملاً، وأَمّا إِنْ كان فيه فرع من فروع البدعة قليلها وكبيرها، فلا يصلح للرواية أخذاً وتلقِّياً وإعطاءً وتعليماً وتَعَلُّماً، فالمبتدع عند أهل السنة منبوذ على كل حال، لا يؤخذ منه إلا مايؤخذ من اليهود والنصارى من علوم دنيوية، وأما العلوم الشرعية فلا يؤخذ عنه شيء منها، وهذه المقارنة التي ذكر الإمام مالك في هذه القولة العظيمة، تدل دلالة واضحة على نبذ السلف للمبتدعة، وأنهم في درجة السفهاء المعلنين عن سفههم ووقاحتهم وخروجهم في أفعالهم وأقوالهم عن حد المروءة واللياقة، والكذابين الذين لا ثقة بأخبارهم، وبالمغفلِّين الذين لا يعرفون ما يدور حولهم ، فكيف بشبابنا الآن ينضمُّون وراء رايات المبتدعة ، ودعاة البدعة الصريحة الذين يصرّحون ببدعهم في كتبهم ومقالاتهم وترويجهم لكتب المبتدعة القدماء ، وحثّ الشباب على اقتنائها والاغتراف من شرِّها فيا لله العجب ما أجهل الشباب بدين اللّه! وجريهم وراء العاطفات التي لا ضابط لها إلا الانسياق وراء الشعارات البراقة، التي لا تحمل إلا رعوداً وبرقَ البدع .

◎ وجاء في السير أيضاً: «عن أصبغ ، حدثنا ابن وهب عن مالك - وسُئل عن الصلاة خلف أهل البدع القدرية وغيرهم، فقال : لا أرى أن يُصلى خلفهم، قيل: فالجمعة قال : إن الجمعة فريضة، وقد يُذكرُ عن

الرجل الشيء، وليس هو عليه. فقيل له : أرأيت إنِ استيقنت أو بلّغني من أثق به؟ أليس لا أصلي الجمعة خلفه؟ قال : إن استيقنت. كأنه يقول: إن لم يستيقن ذلك فهو في سعة من الصلاة خلفه»(١)

التعليق :

هكذا يرى الإمام مالك رحمه اللّه في هذه الفتوى العظيمة، أن من شرطِ الإمام أن يكون سُنّياً خالياً من البدعة، فإن كان وإلا فلا تصحُّ الصلاة وراء المبتدع إن تيقنّا ببدعته .

فماذا يقول الإمام مالك لو بُعِثَ إلى أهل هذا الزمان فرأى أئمتهم ما بين صاحب طريقة صوفية، إما تيجانية وهي من أخبث الطرق على الإطلاق وأضلّها وأبعدها عن الشريعة، وإما صاحب شعوذة مهرج يزعم أنه يشتغل بالكهانة، أو مبتدع يقرأ على القبور ويتأكل بكتاب اللّه، أو جاهل لا يدري ما الصلاة وما شرعيتها وما تحتاج إليه، فواللّه لو قام الإمام مالك، ورأى ما عليه أهل هذه المجتمعات التي اختارت لنفسها البدع منهاجاً وسلوكاً وارتزاقاً ووظيفة ، لجالدهم بالسيف ولدعاهم إلى الحق من جديد، ولكن في ورثة الأنبياء بعده خير كثير، وأما شباب المسلمين الغيورون على هذا الدين عامة وعلى السنّة خاصة، فلا يرضَوْن بالمبتدعة أئمة ولا بالمرتزقة الدجالين مُفتين وموجِّهين، واللّه المستعان .

◎ وجاء في ذم الكلام: «عن الإمام مالك ما قلّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء»(٢) .

---

(١) السيرة (٨ / ٦٨) .

(٢) ص ١٧٤ . خ .

التعليق :

اللّه أكبر، ما أعظم هذه الحكم وأسدّ هذا الكلام ، يعرفُ ذلك من يعيش واقع المسلمين ويحيا في وسط المذاهب الهدامة على اختلاف أشكالها وأنواعها وشعاراتها، والبدع تلتهم وتأكل أجسام المسلمين، ولا تترك منهم خليَّة إلا أماتتها، وأصبحوا كما قال اللّه تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾[١]، والألبسة إذا رأيتها على أظهرهم تعجبك، واللحى على وجوههم منظر جميل، والعمامة تعلو رؤوسهم أحياناً، ولكن أين العلم وحديث رسول اللّه؟ وأين صحيح البخاري بين أظهرهم وفي بيوتهم ومكتباتهم؟ وأين إخوانه من المحدثين؟ وبقية الكتب الحديثية تُسْمَع بكليات الشريعة، وتدخلها وتتفحص مناهجها، وتجد الغالب عليها القانون الوضعي، وتعد الثانويات والابتدائيات، وتسمع بأسماء الأساتذة والمعلمين والمفتشين والموجهين والمجالس العلمية واللجان العلمية، ولكن كما قال الإمام مالك: ما قلّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، فارفع بصرك كرتين أو كرات تجد هذه كلها مدارس أهواء، وكليات أهواء وأسماء ومجالس أهواء، إلا من شاء اللّه، ووقاه اللّه شرَّ أهل الزمان، الذين انعدمت فيهم الآثار، ومات علماؤهم وذهب قُرّاؤهم، وبقي حثالة الناس، فهم المتصدرون لأمرهم ، وبيدهم مقاليدهم إلى أن تنبعث الآثار من جديد، وتأخذ الصدارة في علومهم، ولا يزاحمونها بسفاسفٍ وسفاهات، لا تنفع في دنيا ولا أخرى، ويكون المتولّون لأمرهم علماء عاملين وسادات متقين، منهجهم منهج السلف الصالح، وقدوتهم كتاب

---

(١) سورة المنافقون: آية ٤.

اللّه وسنّة رسوله ﷺ، وعدوهم اليهود والنصارى والمجوس ، وما تفرع عن هذه الفرق الكافرة، التي باضت وفرّخت في العالم أجمع، فيا حسرتى على ما فرط المسلمون في جانب الكتاب والسنة .

● وفي جامع بيان العلم وفضله: قال الهيثم بن جميل : «قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبداللّه الرجل يكون عالماً بالسنّة أَيُجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يُخبِر بالسنة فإن قُبلت منه وإلا سكت» (١) .

التعليق :

الإمام مالك رضي اللّه عنه يرى أن الطريق في نشر سنّة رسول اللّه ﷺ، هو تعليمها وتكوين أُطُرٍ يقومون بنشرها في أبناء المسلمين كما فعل سيِّد الأولين والآخرين، ويرى أَنّ الإغراق في الجدال مع أمة جاهلة لا تعرف قدراً للسنّة، ربَّما يؤدى ذلك إلى محاربتها ومحاربة السنّة، فكل زمان له طريقته، وكل وقت يُعامَل حسب ظروفه وأهله، ويبقى نشر السنّة والدفاع عنها أمراً حتمياً لا مناص منه، والمتأخر عنه آثم مذنب، متخلف قاعد عن الجهاد في سبيل اللّه، فنشر العلم هو مهنة الأنبياء والرسل، ونشر السنّة وعلومها والقرآن وعلومه، هو نيابة عن النبوة وأصحابها ، فتعزيز هذا المقام والدفاع عنه، فرض على كل مسلم يعرف عن اللّه مراده، وعن النبي حاله، وعن الصحابة أعمالهم، وإلا ف ﴿سلامٌ عليكمْ لا نبتغي الجاهلينَ﴾ .

---

(١) (٢/٤٩) .

● وجاء في التمهيد في ترجمة ربيعة الرأي: «وكان مالك يفضله ويرفع به، ويثني عليه في الفقه والفضل، على أنه ممَّن اعتزل حلقته لإغراقه في الرأي»[1] .

التعليق :

هذا مالك المحُدَّث الملهم الذي كان يتوقَّدُ ذكاءً ويتحلى ورعاً، وقد خالطت السنَّة لحمه ودمه ، ولا يريد سماع غيرها ولا مذاكرة ما سواها، يفارق شيخه، ويخاف أن يتأثر به ويغلب له الرأي على الآثار، كما وقع لربيعة، فيضطر إلى اعتزاله ومفارقته، ولا شك أن ربيعة كان من أكبر أئمة التابعين، وكان أحد فقهاء المدينة الثقات، الذين عليهم مدار الفتوى، ومع ذلك نرى هذا الموقف لإمامنا مالك، فكيف بمن سلّموا أنفسهم وأسلموها، وأسلموا أبناءهم وسلّموهم إلى جماعة من المنحرفين والفاسقين والمجرمين والمدخنين السكارى، باسم أنهم أساتذة ومعلِّمون إلا من شاء الله منهم فوقاه الله شرّ هذا الزمان فاختيار الأستاذ الناطق بالسنّة والكتاب، واختيار الجليس الصالح الناطق بالكتاب والسنة، واختيار التلميذ المقبل على الكتاب والسنّة، ورفض أهل البدع والفلسفات والكلام المذموم الذي هو عبارة عن زبالات الرأي ونفاياته ، منهج سلفي مطلوب، فقارن بين رأي ربيعة الذي فارقه مالك، وبين أعداء الإسلام الذين يعيثون في الأرض فساداً، باسم الفلس[illegible]ت والفكر الإسلامي وغير الإسلامي، والمنهج الغربي والشرقي وغير ذلك، مما هو معاش في الواقع ، فردّ اللهُ أمة محمد ﷺ إلى الصواب .

---

(١) (٢/٢) .

● وروى مالك في موطئه أنه بلغه أن رسول اللّه ﷺ قال : «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب اللّه وسنة نبيه**» [١] .

التعليق :

هذه حكمة نبوية أدخلها مالك في موطئه بلاغاً، والحديث صحيح عنده، وهو الفيصل والمرجع، فالتمسك بالكتاب والسنة يورث الخير، ويورث الجنة والرضا، وخلافهما يورث الضلال والسعير ، فلذا ينبغي أن تكون هذه الحكمة النبوية مفزع كل مسلم يفزع إليه، ومنهاجه الذي يسير عليه، فرحمة اللّه على إمامنا حيث يُتْحِفُنا في مصنّفه بهذه الحِكَم، وصلاة اللّه على نبيِّنا حيث هدانا إلى الصراط المستقيم .

● وجاء في الاعتصام : «قال مالك : لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أَوَّلُها»[٢].

التعليق :

كيف يأتى آخر هذه الأمة بأفضل مما كان عليه سلفها ، واللّه تبارك وتعالى قد زكّاهم في القرآن، وأثنى عليهم، وجعلهم من المهديين المرضيين، وقال فيهم: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلونَ منَ المهاجرينَ والأنصار والذين اتَّبَعُوهمْ بإحسانٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمْ ورَضوا عنه وأعدَّ لهُمْ جنَّاتٍ تجري تحتَها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلكَ الفوزُ العظيمُ﴾[٣]، وقال: ﴿لقَدْ رضيَ اللّهُ عَنِ المؤمنينَ إذْ يُبايعُونَكَ تحْتَ الشَّجرَةِ فَعلِمَ ما في

---

(١) سبق تخريجه. ص ١٧.

(٢) ص (١٧٤).

(٣) سورة التوبة الآية : ١٠٠.

قُلوبِهِم فأنزلَ السَّكينَةَ عليهم وأثابهُمْ فتحاً قَريباً﴾(١)، وقال فيهم: ﴿محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ مَعَهُ أشداءُ عَلى الكفارِ رُحماءُ بَيْنَهُم تراهُمْ رُكَّعاً سُجّداً يبْتغُونَ فضلاً من اللهِ ورضواناً سيماهُمْ في وُجُوهِهِم مِنْ أثرِ السُّجُود ذلكَ مَثَلُهُم في التَّوراةِ ومَثَلُهُمْ في الإنجيل كَزرعٍ أخرجَ شطأهُ فآزرهُ فاسْتغلظَ فاسْتَوى على سُوقه يُعجبُ الزُّرّاعَ ليغيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعدَ اللّهُ الذينَ آمنوا وعملُوا الصالحاتِ منهمْ مغفرةً وأجراً عَظيماً﴾(٢)
وقد جاء في الصحيح عن الرسول ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (٣).

فكيف بمن جُمِعَت له تزكية اللّه ورسوله، وكان مثالاً عملياً في السبق لكل مكرمُة، ودماء انهمرت في سبيل اللّه، وأموال أنفقت في نشر دين اللّه، وعلوم أنارت الكرة الأرضية، وبلاغة سامقة، وأنوف شامخة، وشجاعة نادرة، وذكاء وحفظ لا يُقارَن بأمة من الأمم، وصحبة صادقة وإخلاص مستمر، وهم مثال في كل خير، فالتعبير عن حالتهم يعجز القلم واللسان عن استيفائها والتعبير عنها، ولو لم يكن لهم إلا مباشرة النور النبوي، والجلوس مع ذلك الإمام والذهاب والإياب، والنظر إلى محيّاه المشرق، الذي تحيا به القلوب(٤)، وتموت به أفئدة الشرك والبدع والفسوق، فكيف بالمتأخرين الذين بعدوا عن اللّه، وفرّقتهم اليهودية

---

(١) سورة الفتح الآية: ١٨. (٢) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٣) رواه أحمد (٣٥٧/٥) عن بريدة الأسلمي، وقال شيخنا الألباني في الأحاديث الصحيحة (١٨٤١): والحديث حسن بغيره قلت: لكن الحديث أصله في البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥) وغيرهما عن عمران بن حصين، وهو في الصحيحين أيضا عن ابن مسعود بذكر قرنين بعد قرنه ﷺ وسلم جزماً وله ألفاظ عدة، ولم أجده بلفظ: «خير القرون» [الناشر].

(٤) أي تحيا القلوب بالنور النبوي وهو الحكمة التي أنزلها الله على نبينا عليه الصلاة والسلام [الناشر].

والنصرانية والمجوسية شَذَر مَذرَ، وأبعدتهم عن كتاب ربهم وسَنَة نبيهم، ونزلت عليهم بمناهجها وتراثها الموروث العفن، وأقنعتهم بصلاحيته، وتسابقوا إلى الاقتناء من تراثها والاهتداء بهديها، يأتون بما هو أهدى من السابقين الأولين، لعمر اللّه إن هذا لهو المحال الكبير، وكما قال اللّه تعالى في الكفار: ﴿ولا يَدخُلونَ الجنةَ حتَّى يلجَ الجملُ فــي سَمِّ الخِياط﴾ (١) فإذا كان المتأخرون يأتون بما هو أهدى، ويتقرَّبون إلى اللّه بقُرَب ما فعلها السابقون، فنقول: هذا من المستحيل الذي ذكر اللّه تعالى في كتابه في الآية السابقة، مضت القرون الأولى ولم يحدِّث أحد نفسه بإقامة احتفال مولد للنبي ﷺ، ويأتي المتأخرون ويزعمون محبة النبي ﷺ والإشادة به، فيقيمون حفلات رقص وطرب، واجتماع على بدع وشرٍّ: ﴿ما أنزلَ اللّه بها من سلطان﴾ فأين هم من السلف المحبين للنبي ﷺ، القائمين على سنته، وهذا مثال واحد ذكرته، لانتشاره بين المسلمين وإقامة علمائهم عليه، وإلا فالبدع في العالم مع الأسف قدر رمل عالج .

● وجاء في الإبانة عنه قال: «القرآن هو الإمام. فأما هذا المراء فما أدري ما هو». وفيها عنه: «المِراء يُقسِّي القلب ويُورث الضغن».

التعليق :

هذا هو أصل مالك العظيم، الذي استقى منه علومه وفقهه، فلهذا اعتبره الإمام، والإمام هو محل القدوة، فقدوة الإمام مالك في كتاب اللّه وسُنّة رسوله ﷺ، وما سوى ذلك فهو مراء لا معنى للاشتغال به، لأنه

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٤٠.

خالٍ من نور النبوة والرسالة، وهو سبب قسوة القلوب، وهو سبب الأضغان والفرقة، فبقدر ما يكثر الإنسان من المراء والجدال الفارغ ، بقدر ما تكثر عداوته ومفارقته لجماعة المسلمين الحقَّة، وبقدر ما ينتشر الرأي والمراء والجدال في الأمة، بقدر ما تتفكك صفوفها وتتشتت كلماتها، وهذا أمر مشاهد في هذه الأعصار، فالصوفية أكثر من مائة وخمسين فرقة وطائفة، ومن شاء معرفة عددهم رجع إلى دائرة المعارف الإسلامية، لقد ذكرهم وعدّ أصولهم وفروعهم في المقال المكتوب فيها ، فبعضهم يلعن بعضاً ويضلل بعضاً، والفرق الكلامية من أشعرية وماتريدية ومعتزلة ورافضة وغير ذلك مما هو على سطح العالم الإسلامي، وكلهم بزعمهم ينتسبون إلى الإسلام، وهل الإسلام فرق وطوائف متباينة متكاثرة، أو هو وحدة واعتصام بالكتاب والسنّة تحت إمام المسلمين، الذي توفَّرت فيه شروط الخلافة، يحكم الناس بكتابَ الله وسنّة رسوله، ويطرح ما سواهما في زبالة القمامة، كما قال الشعبي رضي الله عنه وأرضاه، فهذه القولة الجامعة التي قالها الإمام مالك، تفسيرها والتعبير عنها بالواقع المُعَاش يحتاج إلى مجلدات، ولكن في الإشارة ما يكفي اللبيب للفهم والعبرة والتشمير عن ساعد الجد، لإصلاح هذا الواقع المنتن المُرّ .

◎ وجاء في ذم الكلام : «عن الإمام مالك رحمه الله: لا تحملن أحداً على ظهرك، ولا تمكِّن الناس من نفسك ، أَدِّ ما سمعت وحَسْبُك، ولا تقلّد الناس قلادة سوء» [1] .

---

(١) ص ١٧٣.

التعليق :

يقصد الإمام مالك في هذا النص النيِّر، أن على المسلم أن يُبرئ ذمته، ولا يتحمل مسؤولية أحد في تحليل أو تحريم أو اعتقاد أو تشريع، وليقف عند النص ولا يتجاوزه، فإن مجاوزة النص والقول على اللّه وعلى رسوله بغيرِ علم، يُبقي ذلك في عنقه إلى يوم القيامة، ويصدق عليه قول اللّه تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُم كَامِلَةً يَوْمَ القِيامةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الذينَ يضِلّونَهُم بِغيرِ عِلْمٍ ألا سَاءَ ما يَزِرُونَ﴾ (١)

* * *

(١) سورة النحل آية : ٢٥.

موقف الإمام مالك من الزنادقة والمشركين

● جاء في المدوّنة: «قلت: هل كان مالك يكره أن يستعين المسلمون بالمشركين في حروبهم؟ قال: سمعت مالكاً يقول: بلغني أن رسول اللّه ﷺ قال: «لن أستعين بمشرك» قال: ولم أسمعه يقول في ذلك شيئاً، قال ابن القاسم: ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم، إلا أن يكونوا نواتية أو خدماً، فلا أرى بذلك بأساً.

(مالك عن الفضيل بن أبي عبداللّه عن عبداللّه بن دينار الأسلمي عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرج النبي ﷺ قِبَل بدر، فلمّا كان بحرَّة الوَبَرَة أدركه رجل، قد كان يُذكر منه جُرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول اللّه ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال: يارسول اللّه جئت لأتبعك وأصيب معك، فقال له رسول اللّه ﷺ: «تؤمن باللّه ورسوله»، قال: لا، قال: «فارجع فلن أستعين بمشرك» قالت: ثم مضى حتى إذا كان بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ: «أتؤمن باللّه ورسوله» فقال: لا. قال: «فارجع»، فرجع ثم أدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة، فقال: «أتؤمن باللّه ورسوله» قال: نعم، قال رسول اللّه ﷺ: «فانطلق») (١).

---

(١) رواه مسلم (١٨١٧) وأبو داود (٢٧٣٢) والترمذي (١٥٥٨) وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها.

وذكر ابن وهب عن جرير بن حازم أن ابن شهاب قال : إن الأنصار قالت يوم أحد: ألا نستعين بحلفائنا من يهود، فقال رسول اللّه ﷺ «لاحاجة لنا فيهم» (١)، انتهى من المدوّنة (٢) .

التعليق :

قلت: هذه النصوص المنقولة تحت عنوان (الاستعانة بالمشركين على قتال العدو)، يُفْهَم ُمنها أَنّ مالكاً رحمه اللّه لا يجيز الاستعانة بالمشركين في القتال، وإلا ما فائدة هذا الاستدلال، ومالك رحمه الله كان يعرف خطر الالتصاق بالمشركين في كل شؤون الحياة، لأن الالتصاق بهم والاختلاط معهم يهوِّن الشرك في نفوس المسلمين، وهذا ما لا يرضاه إمام من أئمة الهدى، فما جاء القرآن والنبوة إلا لمحاربة الشرك والمشركين، فكيف لو عاش الإمام مالك رحمه اللّه في القرن الخامس عشر من الهجرة، ورأى حالة المسلمين مع الشرك، والمشركين في مشارق الأرض ومغاربها، وعلماء المسلمين يختلفون فيما بينهم في الاستعانة بالمشركين، وأعلام الشرك مقامة فيما بينهم وهم راضون عنها، بل أمراؤهم يدفعونهم إلى افتتاح أمكنة الشرك وتشييدها، إلا من شاء اللّه منهم، واللّه المستعان .

۞ وجاء في المدونة: «قلت : أرأيت المرتد، هل يعقد النكاح على بناته الأبكار في قول مالك؟ قال : لا يعقد في رأي، ألا ترى أن ذبيحته لا تُؤكل وأنه على غير الإسلام؟ ولو كان أبوها ذمّياً وهي مسلمة لم يجز أن يعقد نكاحها، فالمرتد أيضاً، وألاّ يجوز أحرى، ألا ترى أن المرتد لا يرثه

---

(١) وهو حديث مرسل كما ترى.　　　(٢) (٤١/٢) .

ورثته من المسلمين ولا غيرهم عند مالك؟ فهذا يدلُّك على أن ولايته قد انقطعت حين قال: لا يرثه ورثته من المسلمين ولا يرثهم» [1] .

التعليق :

هكذا يقرِّر ابن القاسم مذهب مالك في انقطاع ولاية المرتد على بنته أو قريبته التي له أن يعقد لها، فالجامع بين البنت وأبيها أو قريبها هو الإسلام، وتحصل المفارقة بينهما بالنكوص والرجوع على الإسلام، وفي هذا الزمان مع الأسف، قد يقع الكثير من الناس في الردة وهو لا يشعر، أو يجهل ذلك جهلاً كاملاً. وأما المثقفون المتشدِّقون بكثير من المبادئ الكفرية، فيرتدون في كل لحظة، ويزعمون أنهم متمسكون بالإسلام، والإسلام منهم بريء، لأن الإسلام لا يمكن أن يجتمع مع الكفر في يوم من الأيام، إما إسلام خالص أو ردة سوداء، فحذارِ من الشعارات الجاهلية المنمَّقة البراقة .

● وجاء في المدونة : «قلت: أرأيت المرتد ، أتنقطع العصمة فيما بينهما إذا ارتد مكانه أم لا؟ قال مالك :تنقطع العصمة فيما بينهما ساعة ارتدَّ، قلت: أرأيت المرأة إذا ارتدت؟ قال : لم أسمع من مالك فيه شيئاً إلا أنّي أرى إذا ارتدت المرأة أيضاً أن تنقطع العصمة فيما بينهما ساعة ارتدت، قلت : أرأيت إذا ارتد الزوج، أيجعله مالك طلاقاً أم لا؟ قال مالك: إذا ارتد الزوج كانت تطليقة بائنة لا يكون للزوج عليها رجعة إنْ أسلم في عدتها، قلت: لِمَ؟ قال مالك في هذا: إنها بائنة، وهو لا يعرف البائنة، قال: لأنه قد تركها حين ارتد، ولم يكن يقدر في حال ارتداده على رجعتها .

---

(١) (١٧٦/٢) .

قلت: أرأيت المرتد إذا تزوج يهودية أو نصرانية وهو مرتد، ثم رجع إلى الإسلام، أيقيم على ذلك النكاح أم لا؟ قال مالك : إذا ارتد فقد وقعت الفرقة بينه وبين أزواجه إذا كنَّ مسلمات .

قال ابن القاسم: وتقع الفرقة بينه وبين أزواجه إذا كنّ من أهل الكتاب، فهذا يدلُّك على أن نكاحه إياهن في حال ارتداده لا يجوز، رَجَع إلى الإسلام أم لم يرجع، ألا ترى أنه لا يُقَرُّ على امرأته اليهودية أو النصرانية حين ارتد، وكذلك لا يجوز نكاحه إياهن في حال ارتداده .

قلت : أرأيت المسلم تكون تحته اليهودية ، فيرتد المسلم إلى اليهودية، أيفسد نكاحه أم لا؟ قال: لم أسمع من مالك فيه شيئاً، إلا أنه قال في المرتد: تُحرم عليه امرأته، فأنا أرى في هذا أن تحرم عليه امرأته يهودية كانت أو نصرانية» (١) .

التعليق :

وهكذا نلاحظ الإمام مالكاً والمالكية رحمهم اللّه، يجعلون مفارقة الإسلام رافعة للعصمة والولاية، وأنه لا لقاء بين مرتد ومسلمة، وبين مرتدة ومسلم، فكيف في هذه الأزمنة التي اختلط فيها الحابل بالنابل، لا يُمَيَّز فيها بين المرتدين والمرتدات وبين المسلمين والمسلمات، وما أكثر الأولين وأقل الآخرين، وما أكثر ما نسمع من عقود تُعقد على كثير من المرتدين على المسلمات، واللّه المستعان .

● وجاء في المدونة: «قلت : أرأيت من ارتد عن الإسلام، يسقط عنه ما كان قد وجب عليه من النذور، وما ضيع من الفرائض الواجبة التي

(١) (٢ / ٣١٦) .

وجب عليه قضاؤها، أو مرض في رمضان فوجب عليه قضاؤه، أو الحدود التي لله أو للناس ، إذا رجع إلى الإسلام أيسقط عنه شيء من هذه الأشياء؟ قال: نعم يسقط عنه كل ما وجب لله عليه، إلا الحدود والفرية والسرقة وحقوق الناس، وما لو كان عمله كافراً في حال كفره ثم أسلم لم يوضع ، ومما يبيِّن لك ذلك أنه يوضع عنه ما وضع من الفرائض التي هي لله، أنه لو حج حجة الإسلام قبل ارتداده ثم ارتد ثم رجع إلى الإسلام، أنَّ عليه أن يحج بعد رجوعه إلى الإسلام حجة أخرى حجة الإسلام، قال مالك لأن اللّه تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿ لئن أشركْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولتكُونَنَّ من الخاسرينَ﴾(١) فحجُّه من عمله وعليه حجة أخرى، فهذا يخبرك أن كل ما فعل من الفرائض قبل ارتداده لم ينفعه، فكذلك ما ضيَّع قبل ارتداده، ولا يكون عليه شيء وهو ساقط عنه .

قلت: ويأتي القتل على القصاص الذي هو للناس ؟ قال : نعم، قلت: وتحفظ هذا عن مالك، قال: نعم.

قلت: أرأيت الرجل يوصي بوصايا ثم يرتدُّ فَيُقتل على ردَّته، أيكون لأهل الوصايا شيء أم لا ؟ قال مالك: لا يرثه ورثته، فأرى أَنَّه لا شيء لأهل الوصايا أيضاً، ولا تجوز وصيَّة رجل إلا في ماله، وهذا المال ليس هو للمرتد، وقد صار لجماعة المسلمين، ووصاياه قبل الردة بمنزلة وصيته بعد الردة، ألا ترى أنه لو أوصى بعد الردة بوصية لم تجز وصيته، وماله محجوب عنه إذا ارتد .

قلت : أرأيت إن مرض فارتد فقُتل على ردته فقامت امرأته، فقالت :

---

(١) سورة الزمر: آية ٦٥.

فرَّ بميراثه مني؟ قال : بلغني عن مالك أنّه قال: لا يتهم ههنا أحد أن يرتد عن الإسلام في مرضه لئلا يرتد ورثته، وميراثه للمسلمين» [١]

وإضافة إلى ما نقلناه عن مالك في المدوّنة من أحكام الزنادقة والمرتدين، ننقل ما جاء في موطئه فيما رواه عن زيد بن أسلم، أن رسول اللّه ﷺ قال: «**من غيّر دينه، فاضربوا عنقه**».[٢]

«ومعنى قول النبي ﷺ فيما نرى - واللّه أعلم - «**من غيَّر دينه فاضربوا عنقه**»، أنّه من خرج من الإسلام إلى غيره، مثل الزنادقة وأشباههم، فإن أولئك إذا ظُهِرَ عليهم قُتلوا ولم يُستتابوا، لأنه لا تُعرف توبتهم، وأنهم كانوا يُسِرُّون الكفر ويعلنون الإسلام، فلا أرى أن يُستتاب هؤلاء، ولا يُقبل منهم قولهم، وأما من خرج من الإسلام إلى غيره وأظهر ذلك فإنه يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، وذلك لو أن قوماً كانوا على ذلك رأيت أن يُدعَوا إلى الإسلام ويُستتابوا، فإن تابوا قُبل ذلك منهم، وإن لم يتوبوا قُتِلُوا، ولم يُعْنَ بذلك فيما نرى - واللّه أعلم - من خرج من اليهودية إلى النصرانية ولا من النصرانية إلى اليهودية، ولا من يُغيِّر دينه من أهل الأديان كلها إلى الإسلام، فمن خرج من الإسلام إلى غيره وأظهر ذلك فذلك الذي عِنِيَ به، واللّه أعلم» [٣]

التعليق :

هكذا نرى مالكاً رحمه اللّه يُؤصّل العقيدة، ويبيِّن أحكامها للمسلمين، ويبيِّن أحكام الزنادقة، وما أكثرهم في هذا الزمان، وقد

---

(١) (٣١٨/٢) .

(٢) رواه مالك (١٤١١) مرسلاً.والحديث رواه البخاري (٣٠١٧) وغيره عن ابن عباس بلفظ: «من بدل دينه فاقتلوه» .

(٣) (٧٣٦/٢) .

تكلمنا عنهم بما فيه الكفاية في المواقف السابقة ، والمهمُّ أَنَّ مالكاً - رحمه اللّه - يرى حرمة الإسلام ليست كغيره من الأديان المحرَّفة التي ثبت عليها أهل التحريف، ولا يرى للزنديق إلا الإبادة والقتل، فجزاه اللّه خيراً، ويجب على المسلمين أن يكونوا مالكيين، لا بالمفهوم المنتشر عند الناس، أي التقليد المذهبي، فهذا مرفوض عند مالك وغيره، كما سيأتي إن شاء اللّه في موقف مالك من المقلِّدة، ولكن مالكيون في نشر سنّة رسول اللّه ﷺ وتوضيحها لهم، ونشر وتوضيح العقيدة السلفية، التي هي عقيدة الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين لهم بإحسان، اللهم وفّق أمة محمد لاتباع دينها ورسولها، اللهم ردّ كيد أعدائها عنها من أهل المشرق والمغرب .

● ورُوي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبداللّه بن عبدٍ القارَيّ عن أبيه أنه قال: «قدم على عمر بن الخطاب رجلٌ من قِبَل أبي موسى الأشعريّ فسأله عن الناس، فأخبره، ثم قال له عمر: هل كان فيكم من مُغَرِّبةٍ خَبَرٍ؟ فقال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه، قال: فما فعلتم به، قال: قربناه فضربنا عنقه، فقال عمر: أفلا حبستموه ثلاثاً، وأطعمتموه كل يوم رغيفاً، واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر اللّه، ثم قال عمر: اللهم إني لم أحضر ولم آمُرْ، ولم أرضَ إذ بلَغَني» (١)

التعليق :

هذا الأثر العظيم يدلنا دلالة واضحة على عناية أمير المؤمنين رضي اللّه عنه بالعقيدة الصحيحة، ويرى أَنَّ من خالفها ينبغي أن يُحبس ثلاثة

(١) (٢ / ٧٣٧) .

أيام، حتى يُحاوَر وتزال عنه الشبُّه إنْ كانت له شبه، فإنْ رجع عن شُبَهِهِ وضلاله وزندقته وكفره قُبلت توبته، وإلا طُبِّق فيه حق القتل ، فرحمه اللّه ورحم السلف الصالح، ورضي عنهم، ورحم إمامنا مالكاً إذ ينقل لنا هذه المواقف العقدية المشرِّفة .

وجاء في الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية قال : «قال ابن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أنَّ من سبَّ النبي ﷺ فحدّه القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي» [(١)] .

وجاء فيه أيضاً : و«قال ابن القاسم عن مالك: من سبَّ النبي ﷺ قُتِلَ ولم يُستَتَب، قال ابن القاسم : أو شتمه أو عابه أو تنقصه، فإنه يُقتل كالزنديق، وقد فرض اللّه توقيره» .

وكذلك قال مالك في رواية المدنيين عنه : «مَنْ سبَّ رسول اللّه ﷺ أو شتمه أو عابه أو تَنَقَّصَه قُتِل مسلماً كان أو كافراً، ولا يُستتاب» .

وروى ابن وهب عن مالك: «من قال: إن رداء النبي ﷺ ورُوي بردهِ وسخ وأراد به عيبه قُتِل».

وروى بعض المالكية إجماع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه، أنه يُقتل بلا استتابة .

وذكر القاضي عياض أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة، أفتى في كل قضية بعضهم .

منها: رجل سمع قوماً يتذاكرون صفة النبي ﷺ إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية، فقال: تريدون تعرفون صفته؟ هذا المار في خلقه ولحيته ومنها: رجل قال النبيّ ﷺ أسود.

---

(١) ص: ٢٥٤ .

ومنها: رجل قيل له: لا وحق رسول اللّه، فقال : فعل اللّه برسول اللّه كذا وكذا .

ثم قيل له: ما تقول ياعدوُّ اللّه، فقال أشدّ من كلامه الأول، ثم قال : إنما أردت برسول اللّه العقرب، قالوا : لأن ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يُقبَل لأنه امتهان، وهو غير مُعزِّز لرسول اللّه ﷺ ولا موقّر له فوجبت إباحة دمه .

ومنها: عشَّار قال: أدِّ واشْكِ إلى النبي أو قال: إن سألت أو جهلت فقد سأل النبي وجهل .

ومنها متفقه كان يستخف بالنبي ﷺ ويسميه في أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة، ويزعم أن زهده لم يكن قصداً ولو قدر على الطيبات لأكلها وأشباه هذا .

قال: فهذا الباب كله مما عده العلماء سبّاً وتنقُّصاً يجب قتل قائله، لم يختلف في ذلك متقدمهم ومتأخرهم، وإن اختلفوا في سبب حكم قتله (١)

وجاء فيه أيضاً قال مالك وأحمد: «كل من شتم النبي ﷺ أو تنقّصه مسلماً كان أو كافراً، فإنه يُقتل ولا يستتاب»، فنصّا على أن الكافر يجب قتله بتنقُّصه له، كما يُقتل بشتمه، وكما يُقتل المسلم بذلك، وكذلك أطلق سائر أصحابنا: إنّ سبَّ النبي ﷺ من الذمِّي يوجب القتل (٢) .

* * *

(١) ص: ٥٢٦.

(٢) ص: ٥٣٢ .

موقف الإمام مالك من بدعة القبورية

• وجاء في المدونة : في تجصيص القبر قال : «وقال مالك: أكره تجصيص القبور والبناء عليها، وهذه الحجارة التي يُبنى عليها.

ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال: إن كانت القبور لتسوّى بالأرض ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي زمعة البلوي صاحب النبي ﷺ: أنه أمر أن يُصنع ذلك بقبره إذا مات، قال سحنون: فهذه آثار في تسويتها فكيف من يريد أن يبني عليها» [1] .

التعليق :

هذه هي المدونة، وهذا مالك، وهذا مذهبه، وهؤلاء أصحابه، وهذه آثار صحابة رسول اللّه، تؤكد ما عليه مذهب مالك، فكيف حال المسلمين في مقابرهم فقراء وأغنياء، علماء وجاهلين كلهم إلا من شاء اللّه، يعمل على خلاف مذهب مالك، ويقتدون بالنصارى والرهبان والهنود والروافض الباطنية أعداء اللّه ورسوله وأصحابه، كلهم يرغب في هذه الكارثة .

ويشيِّدون القبور، ويزخْرِفونها، ويضعون لها القباب والتوابيت والكساوى، ويأتون لها بأحدث أنواع الفنون المعمارية ، وبأحدث أنواع

---

(١) ص : ١٨٩ .

التجصيص والتزويق ، ويأتون لها بأفضل أنواع التذهيب والتفضيض ، ويعلقون لها من أحدث أنواع المصابيح، وهكذا تُنفَق عليها من الأموال ما المسلمون في حاجة إليه، فتنفق الملايين والبلايين على ميتة جيفة لا ندري ما فعل اللّه بصاحبها، فلعلها من أهل النار، وإن كانت من أهل الجنة، فهذا الفعل من عبث العابثين، وهو لمنهاج السلف من المخالفين ومآله إلى تجمع الشرك والمشركين، يُعبَد فيه هؤلاء الموتى من دون اللّه والمسكين لا يدري، ويعتقد أن هذه مكرمة لأمه وأبيه، وهي في الحقيقة مفسدة لمجتمعه ولدينه، وأيّ مفسدة! فإنا للّه وإنا إليه راجعون على حالة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ونصوص أئمتها نابذة لأعمالها، فما هذا العمل إلا مأوى للشرك والمشركين كما هو واقع في حال العالمين .

◎ جاء في المدخل لابن الحاج: «وقال مالك في المبسوطة : وليس يلزم مَنْ دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء فقيل له إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر، ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، فيسلِّمون ويدعُون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها، أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره ذلك إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم، ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها،أو دخلوا أتوا القبر فسلموا قال: وذلك دَأبي» (١)

(١) (١٦٢/١) .

التعليق :

انظر حماك الله من أعمال الشرك والمشركين، ما يقوله الإمام مالك في هذه الفتوى التي استُفتِيَ فيها، وبين آداب الزيارة للنبي ﷺ في قبره، وأن تكرار الزيارة مرة ومرتين في اليوم، لم يكن من عمل السلف الصالح، وأَنّ السلامَ على قبره ﷺ، هو للغرباء القادمين من الخارج وكأَنَّ مالكاً رحمه الله يشير إلى الحديث الذي رواه في موطئه عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1] .

ولا يعنينا أن نخوض في الكلام على طرق الحديث صحةً وضعفاً، فمالك احتج به في موطئه ولا يحتج إلا بما يراه صالحاً للحجية، والذي يهمنا من هذه المواقف ما ذهب إليه مالك، من أقوال وأفعال في مواقفه العقدية .

فمالك رحمه الله يرى أن الزيارة الشرعية للنبي ﷺ من الغرباء بالسلام عليه وعلى صاحبيه، وبالدعاء باستقبال القبلة دون توجه إلى القبر، فضلاً عما يفعله الجهلة والمشعوذون والمنحرفون، الذين يرون أن التمسح بشبابيك النحاس وجدران الحجرة، وتقبيلها وتمريغ الوجوه والخدود، والاستغاثة بالنبي، والاستعانة به، وطلب الحاجات والأرزاق والأولاد وتفريج الكربات، مما كان يحاربه ﷺ، ويقاتل عليه، ويأمر بإفراده الله تعالى، فالحجر الأسود هو المقبَّل وحده لا غيره، من أحجار

---

(١) رواه مالك (١٧٢/١) عن عطاء بن يسار مرسلاً بسند صحيح، ووصله أحمد (٢٤٦/٢) والحميدي (١٠٢٥) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٣/٦) و (٣١٧/٧) عن أبي هريرة بسند حسن وصححه البزار وابن عبد البر كما في تنوير الحوالك (١٨٦/١) وشرح الزرقاني (٣٥١/١) .

الدنيا وترابها، والاستغاثة باللّه وحده، ودعاؤه في السراء والضراء، لا يُصرفُ شيء من ذلك إلى غيره، نبيّاً كان أو رسولاً، فالسلام على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه، وصلاة ركعتين في المسجد النبوي هي الزيارة الشرعية التي بينّها الإمام مالك في هذا الموقف وغيره.

وأما لو رأى مالك وأصحابه وأتباعه ما يراه عُبّاد القبور بمقبورهم، من تقبيل لجدرانهم، وتعفير وجوههم بترابهم، واستغاثة بهم، وطلب الحاجات منهم، وعقد مواسم أسبوعية وسنوية، وتقديم القربان والهدايا، وصلوات في حرم القبور، ولياذ وعبادة بحرم القبور، وغير ذلك من الأعمال والأقوال، مما لم يخطر على بال أهل الجاهلية المشركين، الذين كانوا يعبدون أصنام الحجارة وغيرها، فماذا سيقول الإمام مالك في هذه الأحوال الشيطانية، التي اخترعها إبليس وأعوانه من شياطين الإنس؟ فحالة العالم الإسلامي بشرقه وغربه، حالة من لم ينزل فيه قرآن ولا بُعث فيه نبي، ولا تقدم فيه سلف صالح، مثل الإمام مالك الذي نسجل له هذه المواقف، وقلوبنا تتفطر لما لم نجد ما تهدف إليه هذه المواقف السلفية، ولكن الخير في ناشئةِ وشباب أمة محمد ﷺ، التي ستتلقى السنّة بصدورها الرحبة وقلوبها الواعية، وتُنْزِل النصوص مكانتها، وتعطي للسنّة حقّها، وللكتاب درجته، فهو حاكمها وحكمها، وهو إمامها وقدوتها، هذا ظنُّنا في شبابنا وفي أمة نبيّنا، نرجو اللّه تعالى أن يوفقهم وأن يلهمهم رشدهم.

❁ وجاء في الاعتصام: «قال ابن وضاح: وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة، يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ، ما عدا قباء وحده.

وقد كان مالك يكره كل بدعة وإن كانت في خير .

وجميع هذا ذريعة لئلا يُتخذ سُنّة ما ليس بسنة، أو يُعد مشروعاً ما ليس معروفاً .

وقد كان مالك يكره المجيء إلى بيت المقدس، خيفة أَنْ يُتخذ ذلك سُنّة، وقد كان يكره مجيء قبور الشهداء، ويكره مجيء قباء خوفاً من ذلك، مع ما جاء في الآثار من الترغيب فيه، ولكن لمّا خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه .

وقال ابن كنانة وأشهب : سمعنا مالكاً يقول: لما أتى سعد بن أبي وقاص، قال : وددت أن رجلي تكسّرت وأني لم أفعل . وسُئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا بالمدينة، فقال : أثبت ما في ذلك عندنا قباء، إلا أن مالكاً كان يكره مجيئها، خوفاً من أن يُتَخذ سُنّة» (١) .

التعليق :

ماذا يقول عبّاد الآثار على اختلاف أنواعها، من مبان وأقواس ومنارات وحجارات وتماثيل وبقايا للأمم، والمحبُّون لها والمنْفِقُون عليها من الأموال الطائلة التي لا تُقدَّر بقدر، وذلك بزعمهم أنها من مقومات البلاد، ومن الآثار الوطنية، ولكن لا يدري المساكين، أن ذلك ربّما سينقلب إلى عبادات من دون اللّه، كما وقع لكثير من الأمم، وهو واقعنا الآن في كثير من المزارات المخترعة وغير المخترعة، التي يزعم عُبّادها أن فيها فلاناً وفلاناً، وكثيراً ما فُحصت هذه المزارات، فوُجدت فيها عظام الكلاب والحمير وجثث اليهود والنصارى، وهناك مزارات أخرى خالية من كل شيء، كما هو واقع في مزار الحسين في مصر، فلا حسين

---

(١) (٣٤٧/١) .

ولاجسده، ولكن المشركين لا يعقلون، وأمّا المغارات في الجبال والأودية والسهول، فنماذجها كثيرة لا تعُد ولا تُحصى، فالعناية بالآثار وترميمها وتخليدها، هو من عمل المشركين البطّالين، الذين لا عمل لهم ولا دين.

وأمّا الآثار التي ينبغي العناية بها فهو ميراث النبوة من كتاب وسنة، وأقوال وأفعال للسلف الصالح، فهذه هي التي تستحق العناية، وما فيه خدمة للأمة في دينها ودنياها، وما يخدم أهدافها، وأما تحنيط الجثث وإيقافها في أمكنة معينة، والمحافظة على آثارها من ذهب وفضة وصناديق وأوانٍ وغير ذلك ، فهو من عمل أهل الجاهلية، وهذا هو الذي يحاربه النص المنقول عن الإمام مالك رحمه الله، لأن الإمام مالكاً يعرف نتيجة هذا الأمر الخطير ، وقد كان كما توقع، وأشرت إليه في هذه الكلمة القصيرة .

۞ وجاء في غاية الأماني في الرد على النبهاني: «أما مالك فقد قال القاضي عياض: وقد قال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ويسلِّم، ولكن يسلِّم ويمضي، وهذا الذي نقله القاضي عياض، ذكره في المبسوط، قال: وقال مالك لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعوه ولكن يسلِّم على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر، ثم يمضي، وقال مالك: ذلك لأن هذا المنقول عن ابن عمر أنه كان يقول : السلام عليك يارسول اللّه، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتي أو يا أبتاه، ثم ينصرف ولا يقف يدعو، فرأى مالك ذلك من البدع قال : وقال مالك في رواية ابن وهب ، إذا سلّم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلِّم، لا يمسّ القبر بيده»[1] .

(١) (١/١٧٨) .

التعليق :

هذا الموقف فيه آداب الزيارة لقبر النبي ﷺ كاملة، وقد تقدم الكلام عليها ويضاف إلى ذلك قوله : «ولا يمسّ القبر بيده، فالإمام مالك يقطع الذرائع على الشرك، من لمس وتقبيل وتعفير للخدود والوجوه، الذي يفعله كثير من الجهلة بقبر النبي ﷺ، وبغيره من القبور كما تقدم، فكيف يجيز الإمام مالك وهو إمام من أئمة الهدى، وهذا عمل أئمة الضلال والجهل والتقليد، وهو الذي يروي رضي اللّه عنه الحديث المعروف عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه وهو يطوف بالبيت للركن الأسود، إنما أنت حجر، ولولا أني رأيت رسول اللّه ﷺ قَبّلك ما قبّلتُك ثم قَبّله» (١) .

فهذه هي قُدوة الإمام مالك من أمير المؤمنين، الذي سيصرّح بأن الحجر لا ينبغي أن يُقبّل، ولكن هذا الحجر له خصوصيته، لأن إمام المتقين قبّله، ولا شك أن هذا تعبّدٌ لله، أمّا ما سواها من الحجارة والتراب والجدران والشبابيك والتوابيت وغير ذلك، فتقبيله كالحجر الأسود شرك في العبادات، وهذا العمل من عمل المشركين .

*　　*　　*

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢٢/٢٥٥) . وقصة تقبيل عمر - رضي اللّه عنه - للحجر الأسود في البخاري (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠) وغيرهما.

موقف الإمام مالك من السحر والسحرة

الواقع أن السحر مصيبة قديمة، اتخذها الفراعنة في قديم الزمان، وحديثه لمحاربة علم النبوة، وفي مقدمته العقيدة، وما ذكره الله تعالى عن سحرة فرعون قبل توبتهم، أمر لا يخفى على مسلم يقرأ كتاب اللّه عز وجل، وقد ذَكَرَ اللّه السحر في القرآن، في آية عظيمة، من قرأها لا يمكن أن يهادن السحر ولا السحرة، وإن كان حاكماً مسلماً، فلا يسمح بوجود هذا السرطان الخبيث في رعيته ، والعلماء مهمتهم دفع هذا الخبث وأمثاله، مما لحق بعقيدة الإسلام الصافية: ﴿واتَّبعُوا مَا تَتْلُوا الشَّياطينُ عَلى مُلْكِ سُليمانَ وَما كَفَرَ سُليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كفرُوا يعلِّمونَ الناسَ السِّحر وما أنْزلَ على المَلَكَيْنِ ببابلَ هاروتَ وَماروتَ وَما يُعَلِّمان مِنْ أحَدٍ حَتَّى يَقولا إنَّما نحنُ فتنةٌ فلا تكفرْ فيتعلَّمُون منهما ما يُفرِّقونَ به بَيْنَ المرءِ وزوجِه وَما هُم بضارِّينَ بهِ من أحدٍ إلا بإذنِ اللّه ويتعلمونَ ما يضرُّهُم ولا ينفعُهُمْ وَلقد عَلِمُوا لَمن اشتراهُ مَالهُ في الآخرةِ من خلاقٍ ولبئسَ ما شروْا به أنفسَهُمْ لو كَانُوا يَعْلمُونْ * ولو أنهمْ آمنوا واتَّقوا لمَثُوبةٌ مِنْ عند اللّهِ خيرٌ لو كَانُواْ يَعْلمُونَ﴾ (١)

والإمام مالك رحمه اللّه من أشد الناس محاربة لهذا الأصل الفاسد،

---

(١) سورة البقرة آية: ١٠٢ ـ ١٠٣

الذي استثار واستطار شرُّه في القديم والحديث، وكل من أراد حيلة نسب نفسه إليه، وزعم أنَّه ساحر، وأتاه العوام والجُّهال من كل قطر ومصر، طالبين منه أن يفعل لهم سحراً، وهذا مع الأسف في المجتمعات الإسلامية، التي تدَّعي الوعي والتقدم .

● جاء في موطأ مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة: أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فَقُتِلَتْ.

قال مالك: «الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره، هو مَثَل الذي قال اللّه تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشتراهُ مَالَهُ في الآخرة مِنْ خَلاقٍ﴾(١) فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه»(٢) .

وجاء في تيسير العزيز الحميد:

«واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا فذهبت طائفة من السلف إلى أنه يكفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد» (٣) .

التعليق :

هكذا مذهب مالك رحمه اللّه بين القتل والتكفير للساحر، وهكذا يمشي الحكم على كل المشعوذين، الذين يدّعون لأنفسهم علم الغيب، الذي اختص اللّه به، ويدعي لنفسه التصرف في الأكوان والذوات، وتغيير القلوب وإحداث البغض والكراهية، وإماتة الناس وإحيائهم

---

(١) البقرة الآية : ١٠٢ .
(٢) (٢/٧٧١) .
(٣) (٢/٣٨٤) .

وتصحيحهم وإمراضهم، بل ويدّعون قلب الذوات، من بشر إلى كلب أو خنزير، أو ماء إلى ذهب أو فضة، وما إلى ذلك من الدعاوى الطويلة العريضة، ولهذا قارنه النبي ﷺ بالشرك، كما جاء في الحديث الصحيح: «**اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول اللّه وما هنَّ؟ قال: الشرك باللّه والسحر، وقتل النفس التي حرّم اللّه قتلها إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولّي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[1] وصح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ قتل الساحر وهم، عمر أمير المؤمنين، وحفصة أم المؤمنين، وجُندب الصحابي الجليل، كل هذا ومع ذلك تجد هذه الظاهرة منتشرة انتشاراً فاحشاً في المجتمعات الإسلامية.

ماجاء في الموطأ من الأخبار على الرُّقى والتمائم

الإمام مالك رحمه اللّه اشتهر من بين الأئمة في سدِّ الذرائع، التي يُتذرع بها إلى كل مكروه، وكان أهل الجاهلية يعلّقون القلائد والأوتار على بهائمهم، ويعتقدون أنها تدفع المرض وتدفع البلاء، وجاء الإسلام فأبدلنا اللّه بذلك كتابه وأسماءه وصفاته، فرُقْية المسلم قراءة كتاب اللّه، والأدعية الثابتة عن رسول اللّه، وما سوى ذلك لم يصحّ عن رسول اللّه من وجه من الوجوه، فما يذكر في بعض الكتب، من خلاف في تعليق بعض الآيات القرآنية، أو بعض الأدعية المأثورة لا معنى له، فقد

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

استفاضت رُقى رسول اللّه ﷺ، ورُقية جبريل له، والأدعية الكثيرة التي علمها في الرقى، فلماذا العدول عن هذا الشيء الصحيح والبيضاء الواضحة، إلى ما يمكن أن يدخل به المبتدعة والسحرة، الذين يكتبون الكثير من الرموز والخطوط، في كثير من الحروز، وكثير من الأدعية الشركية، والاستغاثات بالشياطين والجنِّ، وبكثير من الأموات والأحياء الغائبين، وهذا شرك مجمع عليه، لا يشك فيه إلا مشرك، فالرجوع إلى السنّة، والرجوع إلى مذهب الإمام مالك في سدِّ الذرائع، هو الواجب والصواب، فالعقيدة في القلائد والتمائم والحلق والخرق والنحاس، الذي يربط في العنق والأيدي، فمن اعتقد فيه نفعاً أو ضراً فلا شك أنه مشرك، فالنفع والضر بيد اللّه، فالضراعة له بالقلوب والألسنة، وبكتابه وبأدعية نبيه ﷺ، والاستقامة على دينه، وبالابتعاد عن مأوى الشياطين والفسقة، وكثرة الصدقات والتلاوة والذكر، هكذا كانت رُقية السلف الصالح رضي اللّه عنهم وأرضاهم، وأما ما يشاهد في المجتمعات المتخلفة علمياً وعقلياً واقتصادياً واجتماعياً، فتلجأ إلى مثل هذه الأمور التي لا معنى لها .

روى مالك عن عبداللّه بن أبي بكر بن عمر بن حزم، عن عباد بن تميم، أن أبا بشير الأنصاري أخبره، أنّه كان مع رسول اللّه ﷺ في بعض أسفاره، قال: فأرسل رسول اللّه ﷺ رسولاً، قال عبداللّه بن أبي بكر: حسبت أنّه قال والناس في مقيلهم: «لا تَبْقَيَنَّ في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة، إلا قُطعت»، قال مالك: أرى ذلك من العين [1] .

---

(١) رواه مالك (١٧٠٠) والبخاري (٣٠٠٥) ومسلم (٢١١٥) وغيرهم .

رواية الإمام مالك لأحاديث التصاوير

روى مالك عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة، أَنّ رافع بن إسحاق، مولى الشفاء أخبره قال: دخلت أنا وعبد اللّه بن أبي طلحة على أبي سعيد الخدري نعوده، فقال لنا أبو سعيد: أخبرنا رسول اللّه ﷺ «أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل، أو تصاوير»، يشك إسحاق، لا يدري أيتهما قال أبو سعيد الخدري[1].

وقد جاء عن النبي ﷺ في هذا المعنى أحاديث كثيرة منها: حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، خرّجه البخاري ومسلم وغيرهما عن النبي ﷺ قال: قال اللّه تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرّة أو ليخلقوا حبّة أو ليخلقوا شعيرة»[2] ومنها ما أخرجاه عن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ قال: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق اللّه»[3]، ومنها عن ابن عباس، سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «كلّ مصوِّرٍ في النار، يَجعلُ له بكل صورة صوَّرها نفساً، فتعذِّبهُ في جهنم»[4] ومنها عن ابن عباس أيضاً، عنه ﷺ يقول: «من صوّر

---

(١) رواه مالك (١٧٥٨) والترمذي (٢٨٠٥) وابن حبان (١٤٨٦) عن أبي سعيد الخدري وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه شيخنا الألباني في غاية المرام (١١٨) ومعناه في الصحيحين.

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١) وغيرهما عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه -.

(٣) رواه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٧) عن عائشة - رضي اللّه عنها.

(٤) رواه مسلم (٢١١٠) وأحمد (٣٠٨/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

صورة في الدنيا، كُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»[1] ومنها عند مسلم عن أبي الهيّاج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللّه ﷺ «**ألا تدع صورةً إلا طمستها، ولا قبراً مُشْرَفاً إلا سويّته**»[2].

هكذا تتوارد الأحاديث عن النبي ﷺ بصيغ مختلفة في تحريم الصُّور، وأنّ أصحابها أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة، وعلل النبي ﷺ ذلك بأنهم يتشبهون باللّه فيما اختص به، ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ وأن اللّه تبارك وتعالى ذكر في الحديث القدسي أنهم يخْلُقون كخَلْقِه، ولهذا يمتحنهم يوم القيامة ويأمرهم بأن يخلقوا ذرّة أو حبّة أو شعيرة وليسوا بقادرين على ذلك، وأنّ رسول اللّه ﷺ بعث صهره وابن عمه إلى طمس كل صورة وجدها، وإلى تسوية كل قبر مُشْرَف ، فالأحاديث واضحة في المنع من التصوير، وأنّ فاعل ذلك متشبه باللّه، ومعتدٍ عليه فيما اختص به كما تقدم، فلهذا أدخل الإمام مالك أحاديث تحريم الصُّور، ولا شك أن هذا من العقيدة، فعقيدة المسلم يجب أن تكون نقية من كل شائبة شركية ظاهرة وباطنة، ولا فرق في هذا الباب عندي بين الصور المجسمة وغير المجسمة، فالكل من باب واحد، والنصوص لم تفرِّق، وخلاف العلماء في المسألة لا يعطي المشروعية، فالشرع ما صحّ عن اللّه وعن رسوله ﷺ، وأهل هذا الزمان لم ينقادوا إلى شرعه وإلى حكمه وإلى تطبيقه فُرادى وجماعات، ويُستثنى من هذا ما كان فيه مصلحة للمسلم، كالصّور الطبية وغيرها مما يحتاج إليه ويضطر إليه، وما سوى ذلك فهو داخل في المضاهاة، كما أخبر سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين .

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (٩٦٩) وأبو داود (٣٢١٨) والترمذي (١٠٤٩، ٢٠٣١) وأحمد (١/٨٩، ٩٦، ١٢٩). عن أبي الهياج .

موقف الإمام مالك من الشؤم والتطيُّر

لا شكَّ أنَّ الإمام مالكاً رحمه اللّه من أكمل الناس عقيدة، ودعوته في موطئه إلى تصحيح العقيدة، ومن ذلك ما رواه في موطَّئه : عن ابن شهاب عن سالم وحمزة ابنيّ عبداللّه بن عمر عن أبيهما أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال : «الشؤم في الدار والمرأة والفرس»[1] .

إِنَّ عقيدة العرب كانت مبنية على أصل التطيّر والتشاؤم، بل وعقيدة مَنْ قَبلهم أيضاً، كما حكى اللّه عن آل فرعون لما تطيَّروا بموسى وأصحابه، كما قال اللّه تعالى عنهم: ﴿ وَلَقَد أخذْنَا آلَ فرْعونَ بالسِّنينَ ونقصٍ من الثمرات لعلَّهُمْ يَذَّكَّرون * فإذا جَاءتهُمُ الحسنةُ قالُوا لَنَا هذه وَإنْ تصبْهُمْ سيِّئةٌ يطَّيروا بمُوسى وَمَنْ معهُ ألا إنَّما طَائرُهُمْ عندَ اللّه ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يعلَمُونَ ﴾ (٢)

وجاء الإسلام بمحاربة هذا الأصل الشركي الكبير الذي ابتدعه من ابتدعه، والتطيّر مصدر تطيَّر يتطيَّر، والطِّيَرَة أيضاً بكسر الطاء وفتح الياء، وقد سكن مصدر تطير يقال: تطير طيرة، وتخير خيرة، ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح

---

(١) رواه مالك (١٧٧٤) والبخاري (٥٧٧٢) ومسلم (٢٢٢٥) وغيرهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الأعراف: الآيتان ١٣٠ ـ ١٣١.

من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم ، فإذا أرادوا أمراً فإن رأوا الطير مثلاً طار يُمنةً تيمنوا به، وإن طار يسرة تشاءموا به، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر، قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ماولاك ميامنة ، قلت: فما البارح؟ قال : ما ولاك مياسرة، قال: والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد .

واعْلَمْ أنَّ من كان معتنياً به قابلاً له، كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويُعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات، والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكّد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكل على اللّه، ومتابعة رسوله ﷺ، وأن يمضي لشأنه، لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته، فيدخل في الشرك .

ومع الأسف، فبعد مجيء الإسلام، ومحاربته للشرك وسُبُله ووسائله، توسّع الناس في باب الطيّرة، فهذا يتطير بالألوان، فمن رأى أسود في بداية صباحه تطيّر به، وعلم بأن يومه فيه نحس، وهذا يتطيّر بخِلْقة معينة، كالأعور والأعمى والأجذم والأقرع، وهذا يتطيّر بطيور معينة كالبومة وأنواع من الطيور في كل مكان بحسبه، فمن رأى بومة على سطح بيته علم بها أن البلاء سينزل به من موت أو غيره، وهكذا يتطير بأصواتها، حتى إنه حُكي أن عكرمة قال: كنّا جلوساً عند ابن عباس فمرّ طائر يصيح ، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لاخير ولا شر، وخرج طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال: طاووس وأيُّ خير عند هذا لا تصحبني، وهذا

باب واسع يطول استقراؤه، وكل قوم لهم ما يتطيرون به، وعلاج ذلك هو العلم النافع، الذي يدعو إلى نبذ هذه الأصول الشركية، التي خلّفتها الجاهلية.

وأمّا ما ذُكر في هذا الحديث من الشؤم في هذه الثلاثة، فقد أنكرت عائشة رضي اللّه عنها ذلك وقالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم من حدث بها، ولكنّ رسول اللّه ﷺ كان يقول : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيَّرة في المرأة والدار والدابة» (١) قرأت عائشة ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إلا فِي كِتابٍ مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرأَهَا إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢) وقالت طائفة أخرى لم يُجزم النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، بل علّقه على الشرط، كما ثبت ذلك في الصحيح، ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد بمفردها ، قالوا: والرواي غلط .

قلت : لا يصحّ تغليطه مع إمكان حمله على الصحة، ورواية تعليقه بالشرط ، لا تدل على نفي رواية الجزم.

وقالت طائفة أخرى الشؤم بهذه الثلاثة إنَّما يلحق من تشاءم بها، فيكون شؤمها عليه، ومن توكّل على اللّه ولم يتشاءم ولم يتَّطيَّر، لم تكن مشؤومة عليه، قالوا ويدل عليه حديث أنس: «الطِّيَرة على من تطيّر» (٣)، وقد يجعل اللّه سبحانه تَطيُّر العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه، كما

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٦/٢٤٥) وابن خزيمة والحاكم (٢/٢٧٩) وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها، صحيح الجامع (٤٤٥٢).

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٢.

(٣) رواه الطحاوي في المشكل (٣/١٠٩) وابن حبان (١٤٢٨) عن أنس، وقال الحافظ في الفتح (٦/٧٤) في صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس، وعتبة مختلف فيه.

يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرَّجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر، وقال ابن القيم: إخباره بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطِّيرة التي نفاها اللّه، وإنما غايته أنَّ اللّه سبحانه قد يخلق أعياناً منها مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شرّ، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدَين ولداً مباركاً يرُيان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً يرُيان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس، واللّه سبحانه خالق الخير والشرّ، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركاً ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوساً ينحس بها من قاربها وكل ذلك بقضائه وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة، ولذذ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سبباً لآلام من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطِّيرة الشركية لون. انتهى، ولهذا يُشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة، أن يسأل اللّه من خيرها وخير ما جُبلت عليه، ويستعيذ من شرّها وشرّ ما جُبلت عليه ، وكذلك ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك، ولكن يبقى على هذا أن يقال هذا جارٍ في كل مشؤوم، فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر؟ وجوابه أن أكثر ما يقع التطيّر في هذه الثلاثة فخُصَّت بالذكر لذلك، ذكره في شرح السنن .

ومنها ما روى مالك عن يحيى بن سعيد قال: جاءت امرأة إلى رسول اللّه ﷺ فقالت : يارسول اللّه، دار سكناها، والعدد كثير، والمال وافر،

فقلَّ العدد وذهب المال، فقال النبي ﷺ: «**دعوها ذميمة**» رواه أبو داود عن أنس بنحوه[1] .

وجوابه: أن هذا ليس من الطيرة المنهي عنها، بل أمرهم بالانتقال لأنهم استثقلوها واستوحشوا منها، لما لحقهم فيها ليتعجلوا الراحة مما دخلهم من الجزاء، لأن اللّه قد جعل في غرائز الناس استثقال ما نالهم الشرّ فيه وإن كان لا سبب له في ذلك وحُبّ من جرى على يديه الخير لهم، وإن لم يردهم به، ولأن مقامهم فيها قد يقودهم إلى الطِّيرة، فيوقعهم ذلك في الشرك والشرِّ الذي يلحق المتُطيّر بسبب طيرته، وهذا بمنزلة الخارج من بلد الطاعون غير فار منه، ولو منع الناس الرحلة من الدار التي تتوالى عليهم فيها المصائب والمحن وتعذر الأرزاق مع سلامة التوحيد في الرحلة للزم كل من ضاق عليه رزق في بلد أو قلة فائدة صناعته أو تجارته فيها ألا ينتقل منها إلى غيرها، وهذا باب واسع وردت فيه أدلة ونصوص كثيرة، وليس هذا محلّ بسطها واستقرائها، لأن الذي يهمنا من هذا، الإشارة إلى أن مالكاً رحمه اللّه، أدخل في موطئه كثيراً من أحاديث العقيدة على اختلاف تنوعها، فرحمة اللّه عليه وعلى إخوانه المسلمين .

* * *

---

(١) رواه مالك (١٧٧٥) عن يحيى بن سعيد معضلاً، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٩١٨) وأبو داود (٣٩٢٤) والبيهقي (٨/ ١٤٠) عن أنس، وحسّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٠٥).

موقف الإمام مالك ممن يستسقي بالنجوم

لا شك أن الإمام رضي اللّه عنه كان يحارب الشرك صغيره وكبيره، ولا يرضى بشعرة منه، وهو يعرف خطره على أمة محمد ﷺ، فلهذا يسوق لنا في موطئه ما يبعدنا عن الشرك وفروعه .

وينبغي أن يُعلم أن الاستسقاء - أيْ نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء - هو نوعان كما جاء في (تيسير العزيز شرح كتاب التوحيد)[1] .

«أحدهما :أن يعتقد أن المُنزِّل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر إذ لا خالق إلا اللّه، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن اللّه هو المنزّل للمطر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سأَلْتَهُمْ من نزَّلَ من السَّماءِ ماءً فأَحْيَا به الأَرضَ من بعدِ مَوْتِها لَيقُولُنَّ اللّهُ ﴾ [2]، وليس هذا معنى الحديث، والنبي ﷺ أخبر أن هذا لا يزال في أمته، ومن اعتقد أن النجم يُنْزِل المطر فهو كافر.

الثاني: أن يُنسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاده أن اللّه تعالى هو الفاعل لذلك المُنزّل له، إلا أنه سبحانه وتعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، فحكى ابن مفلح خلافاً في مذهب أحمد في

---

(١) ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٢) العنكبوت: الآية ٦٣ .

تحريمه وكراهته، وصرّح أصحاب الشافعي بجوازه، والصحيح أَنَّه محرَّم، لأنه من الشرك الخفي، وهو الذي أراده النبي ﷺ، وأخبر أنَّه من أمر الجاهلية، ونفاه، وأبطله، وهو الذي كان يزعم المشركون، ولم يزل موجوداً في هذه الأمة إلى اليوم، وأيضاً فإنّ هذا من النبي ﷺ حماية لجناب التَّوحيد، وسدٌّ لذرائع الشرك ولو بالعبادات الموهمة التي لا يقصدها الإنسان، كما قال لرجل قال له: ما شاء اللّه وشئت «أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء اللّه وحده» (١) .

وإليك ما رواه مالك في هذا الموضوع عن صالح بن كيسان عن عبيد اللّه بن عبداللّه بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنّه قال: صلّى لنا رسول اللّه ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثْرِ سماء كانت من الليل، فلمّا انصرف أقبل على الناس فقال : «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا : اللّه ورسوله أعلم، قال : «أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مُطرنا بفضل اللّه ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»(٢) .

إن اللّه هو الدهر

● روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «لايقل أحدكم ياخيبة الدهر فإن اللّه هو الدهر» (٣)

---

(١) رواه أحمد (١/٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٩٥) وغيرهم عن ابن عباس، وذكره الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦٠١).

(٢) رواه مالك (٤٥١) والبخاري(٤١٤٧) ومسلم(٧١) وغيرهم عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٣) رواه مالك (١٨٠٣) والبخاري (٦١٨٢) ومسلم (٢٢٤٦) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

التعليق:

هكذا يُتْحِفُنا الإمام مالك رحمه اللّه بهذه النصوص التي تثبّت عقيدتنا، وتطرد عنا كل ما يُفْسدها ، وحديث سبّ الدهر هو يشير إلى قضية قديمة جاهلية، ذكرها اللّه تعالى في كتابه في قوله: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ ونحيا وَمَا يُهْلِكنا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ (١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : «يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ﴿وقالوا ما هيَ إلاّ حياتُنا الدنيا﴾» (٢) قال ابن جرير: «أي ما حياة إلا حياتنا التي نحن فيها ولاحياة سواها، تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات»(٣) ﴿نموتُ ونحيا﴾ قال ابن كثير: «أي يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البعث والرجعة، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، فزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذّبوا المنقول، ولهذا قالوا : ﴿وما يُهلكنا إلاّ الدهرُ﴾»(٤) قال ابن جرير: «أيْ ما يهلكنا فيفنينا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويُهلكُهم»(٥) ثم روى بإسناد على شرط الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : « كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال اللّه في كتابه» : ﴿وَقَالُوا مَا هيَ إلاّ حَيَاتُنا الدُّنيا نموتُ

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

(٢) (٧/٢٥٣) .

(٣) (٢٥/١٥١) .

(٤) (٧/٢٥٣) .

(٥) (٢٥/١٥١).

ونَحيَا﴾ قال: **«فيسبون الدهر، فقال الله تبارك وتعالى: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا الدهر أقلِّب الليل والنهار»**(١) .

فإن قلت، فأين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبراً عن الدهرية المشركين ؟ قيل: المطابقة ظاهرة، لأن مَنْ سَبَّ الدهر فقد شاركهم في سبِّه، وإن لم يشاركهم في الاعتقاد. أفاده في تيسير العزيزالحميد (٢) .

قال الشافعي في تأويله والله أعلم: «إنَّ العرب كان منْ شأنها أن تذمَّ الدّهر، وتسبَّه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت، أو هرَم، أو تلف، أو غير ذلك، فيقولون: إنَّما يُهلكُنا الدَّهر وهو الليل والنهار، ويقولون : أصابتهم قوارع الدَّهر وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء، فيذمّون الدهر بأنّه الذي يفنيهم، ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ «لا تسبُّوا الدهر» على أنه الذي يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تسبّون الله تبارك وتعالىَ، فإنه فاعل هذه الأشياء». انتهى .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب شارح كتاب جده «كتاب التوحيد» وهو من أنفس الكتب التي كُتبت في العقيدة السلفية الحقة، «قلت : والظاهر أن المشركين نوعان :

أحدهما: من يعتقد: أن الدهر هو الفاعل، فيسبه لذلك، فهؤلاء هم الدهرية.

والثاني: من يعتقد أن المدبّر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن

---

(١) رواه ابن جرير (٢٦٤/١١) عن أبي هريرة، وقال ابن كثير في تفسيره (١٩٣/٤): وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جداً. قلت: يعني أن رفعه دون الحديث القدسي منكر، وأما الحديث القدسي فهو في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

يسبّون الدهر لما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث، فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشيء إلى محله، لا لأنه عندهم فاعل لذلك.

والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقاً، سواء اعتقد أنه فاعل ذلك أو لم يعتقد ذلك، كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام. كقول ابن المعتز:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً — وأنت والد سوء تأكل الولدا

وقول أبي الطيب :

قبحاً لوجهك يا زمان كأنه — وجه له من كل قبح برقع

وقول الطرفي :

إن تُبتلى بلئام الناس يرفعهم — عليك دهر لأهل الفضل قد خانا

وقول الحريري:

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره — فكم خامل أخنى عليه ونابه

ونحو ذلك كثير، وكل هذا داخل في الحديث . قال ابن القيم : وفي هذا ثلاث مفاسد عظيمة :

أحدها: سبّه من ليس أهلاً للسبّ ، فإن الدهر خلق مسخّر من خلق اللّه مقاد لأمره، متذلل لتسخيره، فسابّه أولى بالذمّ والسبّ منه .

والثانية: أن سبّه متضمن للشرك، فإنّه إنّما سبَّه لظنه أنّه يضرُ وينفع، وأنّه مع ذلك ظالم قد أعطى من لايستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرَم من لايستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبّه كثيرة جداً، وكثير من الجهال يصرّح بلعنه وتقبيحه .

والثالثة : أنّ السبَّ منهم إنّما يقع على مَنْ فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، فربُّ الدهر هو

المعطي المانع ، الخافض الرافع، المعزّ المذّل، والدهر ليس له من الأمر شيء ، فمسبّتهم الدهر مسبّة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للربّ تعالى، فسابّ الدهر دائر بين أمرين لابد له من أحدهما: إما مسبّة اللّه أو الشرك به، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع اللّه فهو مشرك، وإن اعتقد أن اللّه وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسبّ من فعله فهو يسبّ اللّه تعالى، انتهى.

وأشار ابن أبي جمرة : إلى أنّ النهي عن سبِّ الدهر تنبيه بالأعلى على الأدنى، وأن فيه إشارة إلى ترك سبّ كل شيء ومطلقاً إلا ما أذن الشرع فيه، لأن العلة واحدة» [1] .

قلت: هكذا نتلقى التربية العقدية من كتاب اللّه ومن سُنّة رسوله ﷺ، فننسب الأمور إلى أهلها لا نتعسف ولا نحرِّف أمراً فننسبه إلى من ليس له به علاقة، فالليل والنهار والشمس والقمر والسموات والأرضَ ، أتَوْا طائعين للّه تحت أمره وتسخيره، والخير كله بيده والشرّ ليس إليه، فمن نسبّ للدهر خيراً أو شرّاً فقد ظلم الله في حقه، واتهم من ليست له جريرة بذنب عظيم، وهذه العقيدة الباطلة مع الأسف قد تسرّبت إلى المسلمين في كل زمان ومكان، فتجدهم يكثرون من شتم الليالي والنهار، ومن سبّ الساعات والصباح والمساء، واتهام الأزمان بالنحس والعقاب والموت والكوارث والمصائب ، ويكثرون من سبِّ الريح والحرّ والبرد وغير ذلك، بل أدى بهم الأمر إلى تحين مواسم معينة زمنية، إلى فعل الكثير من المناسبات، بزعم أن في هذا اليوم سعداً وفي الآخر نحساً فيجب على دعاة العقيدة الصحيحة أن يحاربوا هذه الظواهر الاجتماعية

(١) ص ٦١٠

الباطلة، وأن يُعلِّموا المسلمين التوحيد الحقيقي، من نسبة الخير إلى مولاه، وأن كل حركة وسكنة في الكون، فهي له وصادرة عن أمره وكائنة في قدره، وكل ذلك بعلمه، فلا حول ولا قوة إلا به، فرحمة اللّه على مالك، إذ يعلّمنا هذه العقائد الطيبة، التى نفلح بها وننجح، ونخسر ونهلك إن خالفناها .

*   *   *

ما رواه الإمام مالك في موطئه من النهي عن الحلف بغير اللّه

● روى عن نافع عن ابن عمر: أن رسول اللّه ﷺ أدرك عمر بن الخطاب، وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه، فقال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف باللّه أو ليصمت»[1]

التعليق :

والحديث ظاهر في النهي عن الحلف بالآباء، ومثله الحلف بَالنبي والكعبة وبالشرف والطعام، وما يُسَمَّى بالأولياء والصالحين، وغير ذلك مما هو واقع في هذه المجتمعات، التي لا تقرأ موطأ مالك، ولكنها تتمسح باسم مالك ، فمالك أورد هذه الأحاديث في موطئه لنصيحة الأمة في عقيدتها أولاً وفي عبادتها ثانياً .

فالحلف بغير اللّه فسّره ابن عباس رضي اللّه عنه في قوله تعالى :

﴿ فَلا تَجْعَلوا للهِ أنداداً وأنْتمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2] قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه العظيم الذي لم يُؤَلّف مثله في بابه : «قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء

---

(١) رواه مالك (١٠٣١) والبخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦) وغيرهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٢) سورة البقرة: آية ٢٢.

في ظلمة الليل. وهو أن تقول : واللّه وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللّه وشئت، وقول الرجل: لولا اللّه وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك»[1] رواه ابن أبي حاتم، وقد روى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : «**من حلف بغير اللّه فقد كفر أو أشرك**» [2] رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم .

وقال كعب : إنَّكم تشركون في قول الرجل: كلا وأبيك، كلا والكعبة، كلا وحياتك، وأشباه هذا، وأحلف باللّه صادقاً أو كاذباً ولا تحلف بغيره رواه ابن أبي الدنيا في (الصمت) أفاده الشيخ سليمان في التيسير .

وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا باللّه أو بصفاته، وأجمعوا على المنع بالحلف بغيره قال ابن عبد البرِّ: لا يجوز الحلف بغير اللّه بالإجماع انتهى.

ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه، فإن هذا قول باطل، وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك، بل ذلك محرم ولهذا اختار ابن مسعود رضي اللّه عنه أن يحلف باللّه كاذبا، ولا يحلف بغيره صادقاً، فهذا يدل على أن الحلف بغير اللّه أكبر من الكذب، مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل، فدلّ ذلك على أن الحلف بغير اللّه من أكبر المحرمات .

وقد أخذ طائفة من العلماء بظاهر الحديث الذي فيه «فقد كفر أو أشرك» فقالوا: يكفر من حلف بغير اللّه كفر شرك، قالوا : ولهذا أمره

---

(١) ذكره ابن كثير وذكر سنده، وهو إسناد حسن (١/٨٧) .

(٢) صحيح. رواه الترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٢/٣٤، ٦٩، ٨٦، ٨٧) وصححه الحاكم (٤/٢٩٧) وذكره شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤) .

النبي ﷺ بتجديد إسلامه، يقول : لا إله إلا اللّه، فلولا أنه كفْرٌ ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك ، وقال الجمهور: لا يكفر كفراً ينقله عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر، كما نص على ذلك ابن عباس وغيره، أما كونه أَمَرَ من حلف باللات والعُزَّى أن يقول: لا إله إلا اللّه، فلأن هذا كفارة له مع استغفاره كما قال في الحديث الصحيح: «**ومن حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا اللّه**»(١) وفي رواية «فليستغفر» فهذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره، لكن الذي يفعله عُبّاد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين باللّه أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين إن كان كاذباً، فهذا شرك أكبر بلا ريب، لأن المحلوف به عنده أخوف وأجلّ وأعظم من اللّه، وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف باللّه كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾(٢) فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته أو تربته فهو أكبر شركاً منه فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة» (٣) .

* * *

(١) رواه البخاري (٦٦٥٠) ومسلم (١٦٤٧) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) النحل: الآية ٣٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ٥٩٤.

الشفاعة في موطأ الإمام مالك

تواترت الشفاعة عند أئمة الحديث وتوارَدَها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وأجمع عليها أهل السنة والجماعة قاطبة، ولم ينكرها إلا حثالة الخوارج والمعتزلة الذين أصّلوا أصولاً فاسدة تصادم الوحيين القرآني والنبوي، والإمام مالك يردّ هذه الأصول الفاسدة بما جاء عن اللّه وعن رسوله، وليعلم أن الشفاعة نوعان مثبتة ومنفية، فالمنفية ما تظاهرت بها الآيات القرآنية في الردّ على المشركين الذين نسبوا الشفاعة لأصنامهم وأوثانهم : ﴿قُلِ ادعوا الذينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِ اللّه لا يملكونَ مثقالَ ذرَّةٍ في السَّماوات وَلا في الأرض وَمَا لهُمْ فيهما مِنْ شرك وما لهُ منْهُم مِنْ ظَهِيرٍ * ولا تنفعُ الشفاعةُ عندهُ إلا لمن أذنَ لَهُ﴾[1] ﴿اللهُ لا إلهَ إلا هوَ الحيُّ القيومُ لا تأخذهُ سِنَةٌ ولا نومٌ لهُ مَا في السّماوات وما في الأرضِ مَنْ ذا الذي يشْفعُ عِنْدهُ إلا بإذنه﴾[2] فشفاعة المقبورين لعبّادهم لا فرق بينها وبين شفاعة عبّاد الأصنام، فكل من ظن أن مقبوراً يشفع له عند اللّه ويتوسط له عنده، فهذا لا شك في شركه بإجماع العلماء، وهذه هي التي حاربها القرآن، ومع الأسف فإننا نسمع ونقرأ كثيراً من الأشعار والمأثورات المملوءة بالشفاعة الشركية، وعلماء الوقت

---

(١) سبأ: الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.   (٢) البقرة: الآية ٢٥٥.

يقرِّون ذلك ويؤيدونه وربما يدللون له، فالشفاعة لله وحده لا يملكها غيره كما هو صريح القرآن، ورسول اللّه ﷺ غداً يوم القيامة شفاعته مربوطة بإذن من اللّه كما هو مفصّل في حديث الشفاعة[1] الطويل، وأنه يأتي إلى العرش فيحمد ربه بمحامد لا يعرفها في الدنيا فيأذن اللّه له، فيقال له: سلْ تعُطْه واشفع تُشَفَّع، فشفاعته في الدنيا: تطلب من اللّه تعالى أن يشفع في الآخرة، اللهم شفِّع فينا نبيك وخيار خلقك.

روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «لكل نبي دعوة يدعو بها، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة» [2].

إخلاص الدعاء للّه من كمال التّوحيد

جاء رسول اللّه ﷺ ليُعلِّم أمته التَّوحيد في أقوالها وأفعالها وجوارحها وقلوبها، ومن أعظم كمال التوحيد إخلاص الدعاء للّه، وعدم شركه بغيره فيه، فمن أشرك به في دعائه، أو أخلصه لغيره أوكله إلى نفسه، وقد شارك الإمام مالك في موطئه بروايات عن رسول اللّه ﷺ في الدعاء وآدابه، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على اهتمامه بالعقيدة الصحيحة، والدعاء نوعان، دعاء مسألة ودعاء عبادة، وبكلٍّ جاءت النصوص عن اللّه وعن رسوله: ﴿ادعُوا ربَّكُم تضَرّعاً وَخُفْيَةً﴾ [3] ﴿وقَال رَبّكُمُ ادعوني أستَجبْ لكُم إنَّ الذينَ يَستَكْبِرُونَ عَنْ عبادتي

(١) رواه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣) وغيرهما عن أنس رضي اللّه عنه .

(٢) رواه مالك (٤٩٤) والبخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

سيَدخُلونَ جَهنَّم داخرينَ﴾[1] وفي الترمذي من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : «الدعاء هو العبادة» [2] .

◉ روي مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإنه لا مُكره له» [3] .

وروى أيضاً عن ابن شهاب عن أبي عبيد مولى ابن أزهر عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول دعوت فلم يُستجب لي» [4] .

التعليق :

هكذا يعلّمنا رسول اللّه ﷺ أَنْ نتأدب مع خالقنا ومعبودنا، وألا نقيسه بالمخلوق، وألا نخاطبه بخطابنا للمخلوق، فنقول له: إِنْ شئتَ فافعل ، ونعلّق إجابته بمشيئته ، فهذه قلة أدب مع اللّه، وجهل بعظمته وقدرته، ولو قَدَرناه حق قَدْرِه ما قلنا ذلك، فنحن عبيده وفقراؤه، وحاجتنا إليه لا تنقضي ولا تنتهي، فكيف وحياتنا وموتنا بيده سبحانه لا إله إلاّ هو .

* * *

(١) سورة غافر الآية: ٦٠ .

(٢) صحيح. رواه أحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وغيرهم عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه وذكره شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٣) رواه مالك (٤٩٦) والبخاري (٦٣٣٩) ومسلم (٢٦٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مالك (٤٩٧) والبخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

موقف الإمام مالك من الشيعة

● جاء في الصارم المسلول: «وقال مالك رضي الله عنه: إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يُقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[1].

التعليق :

ما أصدق هذا القول من هذا الإمام في هؤلاء الأراذيل، الذين سخّروا ألسنتهم ودماءهم وأجسادهم وأقلامهم في شتم أصحاب رسول الله ﷺ، ويعتبرون أن هذا الأمر شرط من شروط الإيمان، فلا يتم إيمان أحدهم، بل لا يبدأ إيمان أحدهم، إلا بهذه العقيدة السفيهة، وشبابنا - أيْ شباب أهل السنة - لبُعْدهم عن قراءة ما يكتبه الشيعة، ولبُعْد أسماعهم وعدم الاختلاط بهم في بعض المجتمعات البعيدة عنهم، يعتبرونهم الأخوة الصادقين، وينادون في كل مكان بالتقارب مع الشيعة، وينسون هذه المواقف العظيمة التي يسجلها أئمتُنا رضوان الله عليهم، فهذا الإمام مالك يبيّن لنا في هذه المقولة: الخط الواضح للشيعة، وأنهم

(١) ص ٥٨٠.

لا يقصدون صحابة رسول اللّه ﷺ، ولكن القصد بالضبط هو النبي ﷺ، لكن جبنهم وخوفهم من سطوة أهل السنة والجماعة، يجعلهم يتنازلون عن الإمام الأكبر إلى أصحابه، وهذا الخط الباطني منذ بدايته إلى يومنا هذا، لا يخفى إلا على مغفل جاهل بحال هؤلاء الأراذيل، زراعة اليهود والمجوس وثمارهم، ومَنْ رأيته يحب هذا الخط، ويعززه ويثني عليه، فاعلم أن في قلبه مرضاً نسأل اللّه العافية .

◎ وجاء فيه أيضاً، «قال مالك : من شتم النبي ﷺ قُتِل، ومن سبّ أصحابه أُدِّب .

وقال عبد الملك بن حبيب: من غلا من الشيعة في بغض عثمان والبراءة منه أُدِّب أدباً شديداً، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويُكرَر ضربه، ويطال سجنه، حتى يموت» (١) .

التعليق :

فهذا مالك رحمه اللّه وأصحابه يبينون لنا جزاء شاتم الصحابة، بأنَّه هو الضرب، والإهانة والسجن إنْ تمادى على ذلك، حتى يُكفى شرُّه ولا يُؤْذي المسلمين بشتائم أصحاب رسول اللّه ﷺ، فهذا هو الخط السلفي الصحيح والمنهاج الثابت الذي لا مِرْية فيه، فعليك بهذا ولا تبغ بغيره بديلاً.

◎ وجاء في المدارك للقاضي عياض: «كنا عند مالك، إذ وقف عليه رجل من العلويين، وكانوا يُقْبِلون على مجلسه، فناداه: يا أبا عبداللّه ، فأشرف له مالك، ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف

---

(١) ص ٥٦٩.

برأسه، فقال له الطالبي: إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين اللّه، إذا قدمت عليه وسألني قلت: مالكٌ؟ قال لي، فقال له : قل، قال : مَنْ خير الناس بعد رسول الله ﷺ قال أبو بكر، قال العلوي: ثم من؟ قال مالك : ثم عمر، قال العلوي: ثم من ؟ قال: الخليفة المقتول ظلماً عثمان، قال العلوي: لا أجالسك أبداً، قال له مالك: الخيار إليك» [1] .

التعليق :

انظر رحمك اللّه حالة القرون الأولى المفْضَلَة، التي كانت فيها أعلام السُنّة منشورة، وهي أرضها وسماؤها، ومع ذلك تجد أمثال هؤلاء المشاغبين، الذين ينازعون مثل هذا الإمام، ويتوقحون عليه بهذه الوقاحات الخسيسة، والمهم عندنا خط الإمام الواضح، الذي يُسوِّره بالكتاب والسُنّة، ويلتزم به، رضِيَ زيد أَمْ غَضبَ عمرو، وهكذا ينبغي لكل سلفي قرأ هذه المواقف .

● وجاء في المدارك أيضاً: «قال مصعب الزبيري بن نافع : دخل هارون الرشيد المسجد ، فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ ثم أتى مجلس مالك فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال مالك : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته، ثم قال لمالك: هل لَمَنْ سبّ أصحاب النبي ﷺ في الفيء حق؟ قال: لا ولا كرامة، قال: مِنْ أين قلت ذلك، قال: قال اللّه: ﴿ليغيظَ بهمُ الكفارَ﴾ [2] فمن عابهم فهو كافر، ولا حق للكافر في الفيء، واحتج مرة أخرى. بقوله تعالى: ﴿ للفقراءِ المهاجرينَ﴾ [3]

---

(1) (١/١٧٤ ـ ١٧٥) .
(2) سورة الفتح: الآية ٢٩.
(3) سورة الحشر: الآية ٨ .

قال: فهم أصحاب رسول اللّه ﷺ الذين هاجروا معه، وأنصاره الذين جاؤوا من بعده يقولون: ﴿رَبَّنا اغفرْ لنا ولإخوانِنَا الذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ ولاَ تَجْعَلْ في قُلُوبنَا غِلاً للَّذين آمنوا ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيمٌ﴾ (١) .

فما عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه» (٢) .

التعليق :

انظر وفّقَّك اللّه إلى هذه الفتوى الصريحة الصادرة من هذا الإمام، والمَسْتفتي هو أمير المؤمنين في وقته، وعلماء المسلمين يحاطون به في كل الأمصار، فهذه الفتوى تُعتبر بمنزلة مرسوم من خليفة المسلمين إلى بقية المسلمين في أنحاء أمصار المسلمين، وهي بالنسبة للمسلمين الذين يأتون بعد هذا العهد حُجّة ومنهاج ، ففَهْمُ هؤلاء هو الفهم الصحيح النابع من فقه الكتاب والسنة، فالإمام مالك يُلْحِق الشيعة في هذه الفتوى بالكفار الذين يغتاظون من مناقب أصحاب رسول اللّه ﷺ ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل كما قدّمنا غير ما مرة وهو واقع يعاش، أن تُصبَّ كل اللعنات على صحابة رسول اللّه ﷺ، وكل من ذكرهم بخير فهو عدو لدود لهذه الشرذمة، قبّحهم اللّه أينما حلّوا وارتحلوا .

موقفه من بدعة الجهمية وفروخهم

هذا الفصل من أهم الفصول في هذه الرسالة، وقد أشبعه الإمام مالك رحمه اللّه قولاً وعملاً وروى في موطئه أحاديث كثيرة تنبئ على أن الإمام كان مشبعاً بعقيدة السلف الصالح، خلاف ما يذكره الجهلة بسُنّة

---

(١) سورة الحشر: ١٠ .

(٢) ترتيب المدارك. (ص/١٧٤) .

رسول اللّه ﷺ عامة وبموطئه خاصة، زعموا أن مالكاً لم يرو في موطئه أحاديث الصفات مثل ما فعله غيره، كالآجري وابن خزيمة والبيهقي، وهذا ينبئ عن جهل عظيم، وقد نقل هذه الفكرة القرطبي في أسناه[١] وفرح بها وروج لها ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية القائلين بذلك في فتاواه، وبيّن بطلان هذا الزعم، وقد ذكرت في هذا البحث نماذج كثيرة، توقف القارئ على أحاديث الصفات في موطأ مالك، وسنبدأ بأقواله، ثم نأتي إلى ذكر الأحاديث مستعينين باللّه متوكلين عليه، لا حول لنا ولا قوة إلا به، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

◉ جاء في جامع بيان العلم وفضله : «وقال مالك : أرأيت إن جاء من هو أجدل منه، أيدع دينه كل يوم لدين جديد»[٢] .

التعليق :

هكذا حالة الكلاميين والفلاسفة، ينتقلون من رأي إلى رأي، ومن فكرة إلى أخرى، ومن عقيدة إلى أخرى، تملأ قلوبهم الشكوك وظلمات الجهل بعضها فوق بعض، بخلاف المتمسك بعقيدة السلف، فالنور يملأ قلبه، واليقين والبصيرة ركيزته ومنهاجه، نصوص يقرؤها ويعتقد محتواها، لا تبديل ولا تغيير، لأن منهاج النبوة لا جدال فيه ولا مناقشة، وأما منهاج أهل اليونان فيدرُس الرجل فيه أكثر من خمسين سنة، ثم يعلنها صراحة أنه ما استفاد شيئاً، وإنما جمع قِيلَ وقالوا، ويعلن أَنّه يموت على عقيدة العجائز، نسأل اللّه السلامة والعافية .

---

(١) يقصد في كتابه «الأسنى في شرح أسماء اللّه الحسنى» الناشر .
(٢) (٩٥/٢) .

● وروى ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، بالسند إلى مصعب ابن عبدالله الزبيري، قال: «كان مالك بن أنس يقول: الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إليَّ، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين، إلا فيما تحته عمل» (١) .

التعليق :

هكذا يحكي الإمام مالك عن نفسه وعن علماء أهل المدينة أَنَّهم يَنْبُذون الآراء الجهمية والقدرية وكل ما كان مماثلاً لها لأنّ الكلام في اللّه وفي صفاته وفي أفعاله وفي قضائه وقدره، مستندة عند مالك وعند علماء المدينة والسلف الصالح قاطبة على النصوص من الكتاب والسنة، وأما الجدال الفارغ الذي مستنده الظن والتخمين، فالعقلاء يرغبون عنه ويحذرون منه، وهذا الباب ليس كبقية أبواب العلم، فلا يدرك بقياس ولا استحسان، ولا بفكرة زيد وعمرو، وإنَّما هو النص الواضح، والخطأ فيه ليس كالخطأ في بقية أبواب العلم، وإنما هو خطأ في اللّه وفي ذاته وأسمائه وصفاته .

● وفي جامع بيان العلم وفضله: «عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز منداد المصري المالكي، قال في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف: قال مالك: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم، وذكر كتباً ثم قال: وكُتب أهل الأهواء والبدع

(١) (٩٤/٢) .

عند أصحابنا هي كُتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك، قال: وكذلك كُتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك»[1] .

التعليق:

هكذا يحدد مذهب مالك أنواعاً من الكتب لا تجوز إجارتها ولا التجارة فيها، وعقودها مفسوخة لا اعتبار بها، وذلك لما تحويه من ضلال، وهل فيه أكثر من ضلال العقيدة، فماذا سيقول مالك لو بُعث هو وأصحابه، ودخلوا إلى مكتبات المسلمين، ولو تصفّحوا مناهج المسلمين في المدارس والثانويات والكليات، فماذا في هذه المناهج من كتب السنة والحديث، ولو تصفّح الإمام مالك كُتبَ الغزالي والجويني والشعراني وغيرها، مما كتبه المحرِّفون والمنحرفون في عقائدهم، فماذا سيقول الإمام مالك؟ إن هذه النصوص وهذه الأحكام التي تُنقل عن الإمامَ مالك بمقارنتها إلى الواقع نجد الفرق شاسعاً والمسافة بعيدة، والمعتزلة في هذا الزمان الذين مَثَّل بهم وبكتبهم في هذا الحكم، لهم أنصار وأعوان ومؤلفات ضخام، ملأت الشرق والغرب، وما الأشعرية إلا فرع منهم، وعلماء العالم الإسلامي، إلا من شاء اللّه غالبهم أشاعرة، والذي لا يعرف حقيقة الأشاعرة، ولم يدرس أصولهم، يعتقد أنهم الممثلون لمنهج أهل الحديث، وهم في الحقيقة لا يمثلون إلا امتداداً لأصول الجهمية مع تلفيق في بعض المسائل ، فهل نصدر هذا الحكم الذي حكم به الإمام مالك في هذه الفتوى على كتب الأشاعرة والمعتزلة والمرجئة والصوفية

---

(١) (٢/٩٦) .

والفلسفة، وكتب الغزالي بأجمعها ولا سيما ما سماه بإحياء علوم الدين، أو ماذا؟ ، فلينظر الناظر العاقل البصير إلى هذه الفتوى من هذا الإمام، ويتصفح هذه الكتب التي أشرنا إليها ، فإنْ كان منصفاً عالماً بالكتاب والسُّنة، كالإمام مالك وأصحابه، حكم على عقودها في بيعها وإجارتها بالفسخ، واللّه المستعان .

● جاء في ذم الكلام: «قال عن مالك : من طلب الدين والكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب»[1].

التعليق :

سبحان اللّه، هكذا التربية ، هكذا العقل، وهكذا الفهم، هكذا الهداية، لكل دار بابها ولكل مكان طريقه، لا يجوز دخول البيت إلا من بابه، ومن فعل غير ذلك كان سارقًا وظالمًا ومجرماً، وَمنْ سلك طريقاً لمكان غير طريقه ضلَّ وغوى ، فالدين طريقه الوحي، وعلمه علم النبوة، ولا سيما في باب العقيدة، فمن طلب العقيدة بغير الكتاب والسنة تزندق وكان جزاؤه الحيرة والشك، وأن يُلقّب بما لقّبه به الإمام مالك، وما كُتب العقيدة التي تُدرَّس في المدارس الكبرى، كلها على طريق علم الكلام ، فالعقيدة الأشعرية والماتريدية والمعتزلية، كل هذه العقائد مبناها على علم الكلام، وهي المنتشرة في كتب التفسير والأصول، التي من تأليف المتأخرين، الذين كان علماؤهم معتزلة وأشاعرة، كالرازي والغزالي والبيضاوي وغيرهم ، فلذا يجب على المسلمين وعلى شبابهم الراغبين في الحق، طيُّ هذه المصادر، والرجوع إلى ما ألّفه سلفهم في التفسير

---

(١) ص١٧٣.

والحديث وأصول الفقه، ففيها غُنية وكفاية وهداية ونور وبرهان .

● جاء في الاعتصام : «رُوي عن مالك رضي اللّه عنه في القائل بالمخلوق أن يوجع ضرباً، ويُسجن حتى يموت» (١) .

التعليق :

هذا هو موقف الإمام مالك - رحمه اللّه - من المعتزلة وفروعهم ممن يقولون : بخلق القرآن وتعطيل الأسماء والصِّفات، و أَنَّ جزاءهم هو التَّعزير بالضَّرب والسِّجن، بعد المحاورة وإزالة الشُّبه التي يلقيها شياطين الإنس والجن ، ومع صراحة هذه الأحكام ووضوحها، نجد هناك من يدافع عن المعتزلة والأشاعرة وهم من فروعهم، فلا أدري هل وقفوا على هذه الأحكام أم جهلوها أم يتجاهلونها .

والحقيقة أن هذه المسألة الخبيثة التي ابتدعها المعتزلة جرَّت على المسلمين شرّاً كثيراً طيلة عهودهم التاريخية .

● وجاء في السِّيَر: «حدثنا ابن وهب، سمعت مالكاً يقول: ليس هذا الجدل من الدين بشيء. وسمعته يقول: قلت لأمير المؤمنين فيمن يتكلم في مثل هذه المسائل المعضلة: الكلام فيها يا أمير المؤمنين يورث البغضاء»(٢).

التعليق :

هكذا يخاطب الإمام مالك أمير وقته ويفتيه بما يراه هو الصواب ويبين له أن الحيد عن المنهج السلفي في أصول الدين يورث العداوة

---

(١) (١/ ١٧٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٨) .

والشقاق، وكان كما قال الإمام مالك ـ رحمه اللّه ـ : فلما ترك المسلمون الكتاب والسنة وطلبوا أصول الدين في علم اليونان والتراث النصراني واليهودي والهندي، تفرقت كلمتهم وانشقّوا أحزابا وفِرقَاً ورفعوا السيوف على بعضهم وسُفكت الدماء بينهم وأقيمت المحاكم لهم، واختلفت مشاربهم وتوزعت كلمتهم، وما يزال المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يعيشون على تلك السموم القاتلة وتركوا النور والهدى.

● وجاء في ذم الكلام: «أَنّ مالكاً سُئل عن الكلام والتوحيد فقال مالك: مُحال أَنْ يُظنَّ بالنبي ﷺ أنَّه علّم أُمّته الاستنجاء، ولم يعلِّمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبيﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» [1]، فما عُصِمَ به المال والدم حقيقة التوحيد»[2] .

التعليق :

هكذا يُصرِّح الإمام مالك ـ رحمه اللّه ـ ويلقيها للمسلمين صريحة، وهذا من الإمام مالك ليس بالغريب، فهو إمام أهل القرآن في وقته، وإمام أهل الحديث والفقه والأصول والعقيدة، فوضوح العقيدة من كتاب اللّه ووضوحها من سُنّة رسول اللّه، وتوفيتهما لهذا الأمر بالنسبة للإمام مالك من الأولويات، وعنده وعند كل عالم من المعلوم من الدين بالضرورة، فكيف يقع أدنى جدال في هذه الحقيقة الكبرى، التي تسطع شمسها في قلب كل عالم بالكتاب والسُّنّة، فلهذا يستغرب الإمام مالك وجود غيرها في نفوس المسلمين، ويستغرب ما حدث في عهده، من طلب

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٦) ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ص ٢٢٠ خ .

أصول الدين من غير الكتاب والسنّة ، فلهذا يستشهد بأصغر الأشياء على أكبرها، وهذه حُجّةٌ لَعَمْرِ اللّه من أوضح الحجج، فكيف يعكف النبي ﷺ على تعليم أمته أصغر الأشياء وأقلها ومندوباتها ومستحباتها، ويحذّرهم من صغائر الأمور، وقطع عليهم كل سبيل للشر، وفتح لهم أبواب كل خير ، ونقل صحابته عنه كل حركاته وسكناته، حتى اضطراب لحيته في صلاته، وجلوسه على أكله ونومه ويقظته في سفره وحضره، وما استتر عنهم في بيته هيأ اللّه له الحافظات من نسائه، فكيف يظن به هذا الظن السيئ، الذي هو لازم لكل من طلب علم الكلام، ليصل به إلى معرفة أصول الدين، فهذا مستحيل في حقه ﷺ، فقد قاتل النبي ﷺ، على التوحيد ، وغزا القرى والمدن وسبى الذراري والنساء، وجعل الرجال أُسارى في يد المسلمين، فهل يُظن بالنبي ﷺ أنه قاتل على غير التوحيد وفروعه، وهذا منهج أصحابه بعده ﷺ، فهم قاتلوا على التوحيد، ونشروا التوحيد في البلاد المفتوحة، فالإمام مالك رحمة اللّه عليه يقرر هذه الحقيقة، ويراها من بدهيات الأمور، ويستبعد أن يخطر غيرها في بال المسلم .

◉ أخرج الهروي في ذم الكلام: «من طريق عبد الرحمن بن مهدي قال : دخلت على مالك وعنده رجل يسأله، فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد ، لعن اللّه عمرو بن عبيد، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلّم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلّموا في الأحكام والشرائع»[1] .

---

(١) ص ١٧٣ خ.

التعليق :

هكذا يصرّح الإمام مالك بأسماء أصحاب البدع، ويذكر نهجهم الباطل، ويتبع ذلك بلعنة اللّه على رؤوسهم، ويرجع بالناس إلى الحقيقة المقررة عنده وعند غيره من علماء السلف، رضي اللّه عنهم ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلّموا في الأحكام والشرائع ـ فكيف يتكلمون في علم أجمعوا على التحذير منه بعد معرفة ضلاله، وهم مأمورون بالنصيحة للمسلمين، فنصيحتهم للمسلمين توجب عليهم تعليم المسلمين ما ينفعهم، وتحذير المسلمين ما يضرهم، فتكلموا رضي اللّه عنهم في الأحكام والشرائع، وبيّنوا أصول الدين غاية البيان، وهي واضحة في الكتاب والسنة غاية الوضوح .

● وجاء في شرف أصحاب الحديث : للخطيب بالسند إلى إسحاق بن عيسى: «قال : سمعت مالكاً بن أنس يعيب الجدال في الدين، ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نردَّ ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ».

جاء في ذمِّ الكلام بالسند إلى أشهب بن عبد العزيز: «قال : سمعت مالكاً بن أنس يقول إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبداللّه وما البدع؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء اللّه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون بإحسان»(١) .

التعليق :

هذه هي وصية الإمام مالك ونصيحته لعموم أمة محمد ﷺ، وهي اجتناب البدع على اختلاف أنواعها وأشكالها، وخصوصاً البدع

---

(١) الجزء السادس ص ١٧٣ خ.

الكلامية المنطقية، التي استعلمت في تعطيل أسماء اللّه وصفاته من جهة، وفي تشبيه أسماء اللّه وصفاته من جهة أخرى، ولكن في إثبات ما أثبته اللّه تعالى لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تحريف ولا تعطيل، فالسلف الصالح رضوان اللّه عليهم، يقفون في أسماء اللّه وصفاته موقف التوقيف، فلا يطمعون في معرفة الكيفية، ولا يعطِّلون ما جاء به النص[1]، فما أعظم هذا المنهج، الذي أخذ الوسطية بين المشبهة والمعطلة والمحرفة، فالإمام مالك ـ رحمه اللّه ـ يحذِّر من المنهاج الجهمي وفروعه وفروخه كيفما تشعَّب وتفرَّع، ولكن نصيحة الإمام مالك لم يحافظ عليها إلا قلة من السلف، وهم جماعة من علماء الحنابلة رضي اللّه عنهم وغيرهم ممن ركب هذا النهج، واقتنع به .

● جاء في الحلية لأبي نعيم بالسند إلى جعفر بن عبداللّه قالَ : «كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبداللّه ، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء، ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء، يعني العرق، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فأُخرج» .

التعليق :

هذا يدل على أن السلف رضوان اللّه عليهم كان لهم اهتمام بالغ بعقيدة القرآن والسُّنة، وأَنَّ اتباعهم للقرآن والسَّنة ولمنهج الصحابة

(١) أي: إثباتاً للمعنى على الحقيقة وتفويضاً للكيفية. [الناشر].

والتابعين، كان أمراً حتمياً عندهم، والخروج عن هذا المنهج يبعث على الدهشة والاستغراب، وكأنَّ الإنسان يريد أَنْ يلفظ أنفاسه لعظم الموقف، فالإمام مالك رأى من هذا السائل الانحراف عن المنهج الصحيح، فأوجعه ذلك وأضرّ به، فيا حبذا لو كان في كل عصر وفي كل مصر وفي كل جماعة مثل الإمام مالك، الذي تأخذه الغيرة على المنهج السلفي إذا انحرف الناس عنه.

فالإمام مالك أعرب عن المنهج السلفي، وبيّنه أحسن بيان في باب الأسماء والصفات، وترك هذه القاعدة الكبرى والمعلمة العظمى، التي تلقّاها عن سلفه الصالح، وهي قاعدة في كل الأسماء والصفات، ليست في الاستواء وحده ولكنها في اليد والوجه والقدم واليمين والأصابع والعين والمجيء والإتيان والذات والعلم والقدرة والإرادة، وكل الصفات الفعلية والذاتية .

وكُتُبُ ابن تيمية وابن القيم وما تفرّع منها، ليست إلا لتقرير هذه القاعدة الكبرى وما أتى ابن تيمية ومحبُّوه بشيء جديد، إلا أنه أحيا مذهب السلف الصالح، ودحض حجج المبتدعين على اختلاف أنواعهم، فرحمة اللّه عليه وعلى سلفنا الصالح، وجعلنا على منهاجهم .

● جاء في ترتيب المدارك: «قال القاضي عياض : قال ابن نافع وأشهب وأحدهما يزيد على الآخر قلت: يا أبا عبداللّه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١) ينظرون إلى اللّه، قال : نعم بأعينهم هاتين، فقلت له: فإنَّ قوماً يقولون : لا يُنظر إلى اللّه، إنّ ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا بل يُنظر إلى اللّه، أما سمعت قول موسى عليه

(١) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

السلام: ﴿أرني أنظر إليك﴾ أفترى موسى سأل محالاً ربه؟ فقال اللّه : ﴿لن تراني﴾ في الدنيا لأنها دار فناء، ولا يُنظر ما بقي بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما بقي إلى ما يبقى، وقال اللّه: ﴿كلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يومئذٍ لَمحْجوبُونَ﴾» (١) (٢).

التعليق :

وهل فيه أصرح من هذا الحكم من الإمام مالك في رؤية اللّه يوم القيامة بعين البصر؟ فما بال الناس يختلفون في هذه الحقيقة المقررة عند السلف ومعلومة عندهم من الدين بالضرورة، فيورد المتأخرون من معتزلة ومَنْ سار في دربهم كل شبهة، ليردوا بها نصوصاً صريحة، ومنها ما أجمع عليه الصحابة والتابعون ومَنْ بعدهم، إلا مَنْ شذّ من بعد الصحابة، فالإمام مالك لم يأتِ بشيء جديد، فهو تابع لما قرره سلفه الصالح في الاستدلال بالآيات القرآنية الظاهرة الدلالة في المسألَة، التي لا تقبل دفعاً بالتأويل والتعطيل، فهكذا منهاجهم رضي اللّه عنهم الاستدلال بالقرآن والفهم الصحيح لآياته، وتنزيلها منازلها، دون إيراد الشُّبه والعِلَل الباطلة التي لا مستند لها، فكم أخذت هذه المسألة الواضحة من وقت من المعتزلة والأشاعرة، الذين أخذوا مناهجهم عن غير المنهاج السلفي، واستقوا أصولهم من غيره، فضلّوا وأضلّوا .

◎ وجاء في فتح الباري: «وقد أخرج أبو العباس السرّاج في تاريخه عن الحسن بن عبد العزيز وهو من شيوخ البخاري، سمعت عمرو بن أبي سلمة يقول: سمعت مالكاً بن أنس، وقيل له يا أبا عبد اللّه قول اللّه

---

(١) سورة المطففين: الآية ١٥.

(٢) ترتيب المدارك (١/١٧٢) .

تعالى: ﴿إلى ربِّها ناظرةٌ﴾ يقول قوم، إلى ثوابه، فقال : كذبوا فأين هم عن قوله تعالى: ﴿كلا إنَّهمْ عن رَبِّهمْ يومئذٍ لَمحْجُوبُونَ﴾؟» (١) (٢).

● وجاء في أصول الاعتقاد: «وحدثنا أبو موسى الأنصاري أنه قال لمالك: يا أبا عبدالله فإنّ قوماً يزعمون أَنّ اللّه لا يُرى، قال مالك : السيف السيف» (٣).

التعليق :

فلو ذهب الناس على توجيه الإمام مالك رضي اللّه عنه لهم ما ضيّعوا وقتاً، ولا أفسدوا عقلاً، ولا سوّدوا صُحفاً ولا حرّفوا عقيدةً، ولكنّ ضياع القرآن وذهاب السلطان الذي ينشر القرآن، سبّب هذا كله وأوقع الانفلات، ونشر كلُ صاحب شبهة شبهته، وكل صاحب زندقة زندقته، وكل صاحب إلحاد إلحاده، والسلطان والقرآن لا يفترقان ، فإذا ضاع القرآن والسنَة، وَمُحِيَتْ علومهما من الأرض، طبق اللّه سماواته على أرضه وطواهما بيمينه، وفقدان السلطان الذي يأخذ على يد الظلمة والطغاة بسبب إهمال القرآن والسنّة، يفتح الباب لكل عاثٍ في الأرض بالفساد، وهذه أمور لا تخفى على اللبيب .

○ وجاء في السِّيَر: «روى عبداللّه بن أحمد في كتاب الردِّ على الجهمية إلى عبداللّه بن نافع قال: قال مالك: اللّه في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء» (٤) .

---

(١) سورة المطففين الآية : ١٥.
(٢) (١٣/ ٤٢٦) .
(٣) (٢/٤٥٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠١/٨) .

التعليق :

هكذا يقرر مالك - رحمه اللّه - حقيقة المعية، ويفرِّق بين الاستواء على العرش وبين علم اللّه الذي لا يخلو منه مكان، وهذه حقيقة مقررة عند الصحابة والتابعين وأتباعهم، فلا تأويل في المعية كما يزعمه من زعمه من المفسرين والمحدِّثين، فآيات الصفات بابها واحد، به تُفهم وبه تُعلم، فلا تفريق بين صفة وأخرى، ولا تأويل لواحدة دون الأخرى ، فصفة المعية كغيرها، وقد أثبتُّ ذلك في كتابي «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» في صفة المعية في الردِّ على المؤولة، والحمد للّه رب العالمين .

● وجاء في السِّير : «بالسند إلى أبي أويس: «سمعت مالكاً يقول : القرآن، كلام اللّه، وكلام اللّه منه، وليس من اللّه شيء مخلوق»[(1)].

وجاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض: «وجاء إلى مالك رجل، فقال له: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال: زنديق فاقتلوه، قال: يا أبا عبد اللّه ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته، قال: لم أسمعه إلا منك» [(2)].

التعليق :

هكذا يقرر الإمام مالك، أنَّ من فرَّق بين صفات اللّه وذاته، فادعى أنَّ بعض صفاته مخلوق، فهو زنديق يجب قتله وليس من اللّه شيء مخلوق، وهذه مسألة شيطانية خرجت بها الجهمية والمعتزلة، وشقّوا بها عصا الطاعة على أهل السنة والجماعة، فأحدثوا بسببها فتناً لا يعلمُها إلا اللّه، فلذا كان الإمام مالك لا يَحْتمِل حكاية مثل هذه الأقوال الكافرة الباطلة،

---

(1) السير (١/١٧٤) .
(2) (١/١٧٤) .

فرحمة اللّه عليه وعلى أمثاله ممن نصروا مذهب أهل السنة والجماعة .

وبعد هذه الأقوال ، وهذه المواقف التي نُقلت عن الإمام مالك، ننتقل إلى نقل أحاديث الأسماء والصفات من موطأ الإمام مالك، حتى يعلم القارئ أَنَّ مالكاً ـ رحمه اللّه ـ جمع في موطَّئه مجموعة من أحاديث الأسماء والصفات، حتى إِنَّ ابن تيمية يقرر في الفتاوى الكبرى، وينقل عن الإمام مالك قوله: «جمعت هذا خوفاً من الجهمية أَنْ يُضِلُّوا النَّاس»(١).

وقد قرر رضي اللّه عنه في ردٍ جميل على أبي المعالي، الذي يزعُم أَنّ مالكاً وغيره من جماعة السلف لم يرووا أحاديث الصفات في مصنفاتهم، ولنفاسة كلامه رضي اللّه عنه وجودته ، أنقله حتى يعرف القارئ مدى جهل علماء الكلام بسنَّة رسول الله ﷺ عامة، ومدى جهل أبي المعالي الذي هو إمام الأشاعرة المبجل وكتبه هي أناجيلهم وزبورهم كما قرّر شيخ الإسلام في غير ما موضع من كتبه رضي اللّه عنه قال رحمه اللّه في الفتاوى الكبرى :

«وأبو المعالي يتكلم بمبلغ علمه في هذا الباب وغيره، وكان بارعاً في فن الكلام الذي يشترك فيه أصحابه والمعتزلة، وإِنْ كانت المعتزلة هم الأصل فيه لكثرة مطالعته لكتب أبي هاشم الجبائي، فأما الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وقول أئمتها فكان قليل المعرفة بها جداً، وكلامُه في غير موضع يدل على ذلك، ولهذا تجده في عامة مصنفاته في أصوله وفروعه إذا اعتمد على قاطع، فإنَّما هو ما يدَّعيه من قياس عقلي أو إجماع سمعي، وفي كثير من ذلك ما فيه، فأما الكتاب والسنة وأقوال

---

(١) (٥/١٥).

سلف الأمة وأئمتها فهو قليل الاعتماد عليها والخبرة بها ، واعتبره بما ذكر في الردّ على الآجري ونحوه من العلماء الذين صنّفوا في أبواب السنَّة والردّ على أهل الأهواء وقد ردوا عليهم بالسنّة والآثار وذكروا في ذلك أحاديث الصفات . .

فإنَّه قال - أي الجويني: اعلم أَنَّ أهل الحق نابذوا المعتزلة وخالفوهم واتبعوا السَّمع والشَّرع، وأثبتوا الرُّؤية والنَّظر، وأثبتوا الصِّراط والميزان وعذاب القبر ومسألة منكر ونكير والمعراج والحوض، واشتد نكيرهم على من يُنسب إلى إنكار مأثور الأخبار والمستفيض من الآثار في هذه القواعد والعقائد، واتفقوا على أن الحسن والقبيح في أحكام التكليف والإيجاب والحذر لا يُدرك عقلاً، والمرجع في جميعها إلى موارد الشَّرع وقضايا السَّمع، ولكنهم لمّا بلغتهم أخبار متشابهة وألفاظ مُشْكلة لم يستبعدوا أَنْ يكون في الأخبار البيِّن والظاهر والمُجْمَل والمُشْكِل، فإنَّ اللّه أخبر أَنَّ كتابه العزيز الذي ﴿لا يأتيهِ الباطلُ مِنْ بينِ يديهِ ولا مِنْ خلفهِ تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ﴾[1] منه آيات محكمات، وأخرى متشابهات، أعرضوا عن ذكرها، ولم يشتغلوا بها.

والدليل عليه، أن أئمة السُّنّة وأحبار الأمة بعد صحْب رسول اللّه ﷺ رضي اللّه عنهم، لم يُودِعْ أحدٌ منهم في كتابه الأخبار المتشابهات، فلم يورد مالك رضي اللّه عنه في الموطأ منها شيئاً مما أورده الآجري وأمثاله، وكذلك الشافعي وأبو حنيفة وسفيان والليث والثوري، ولم يَفْتُوا بنقل المُشْكَلات .

ونبغت ناشئة ضَرُوا بنقل المُشْكَلات، وتدوين المتشابهات ، وتبويب أبواب ورسم تراجم على ترتيب فطرة المخلوقات، ورسموا باباً في ضحك

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

الباري، وباباً في نزوله وانتقاله وعروجه ودخوله وخروجه، وباباً في إثبات الأضراس، وباباً في خلق اللّه آدم على صورة الرحمن ، وباباً في إثبات القدم والشعر القطط، وباباً في إثبات الأصوات والنغمات، تعالى اللّه عن قول الزائغين .

قال ـ أيْ ـ الجوينيّ ـ : وليس يَعْتَمد جمع هذه الأبواب ، وتمهيد هذه الأنساب، إلا مُشبِّه على التحقيق أو متلاعب زنديق .

قال المعظِّم لأبي المعالي الناقل لكلامه أبو عبد اللّه القرطبي وهو من أكابر علماء الأشعرية: «في قول أبي المعالي هذا بعض التحامل» .

وقد أثبتنا في هذا الكتاب معنى شرح الأسماء الحسنى، فإنه ذكر الصفات في آخره، من هذه الأخبار ما صحّ سنده، وثبت نقله ومورده، وأضربنا على الكثير منها استغناءً عنها لعدم صحّتها، فيوقف على ما ذكرنا منها لنقل الأئمة الثقات لها، وحديث النُّزول في الأمهات، أخرجه الثقات الأثبات .

قلت ـ أي ابن تيمية ـ : هذا الكلام فيه ما يجب ردّه من أمور عظيمة :

أحدها: ما ذكره عمن سمّاهم أهل الحق، فإنه دائماً يقول: قال أهل الحق، وإنمَّا يعني أصحابه، وهذه دعوة يمكن كل أحد أن يقول لأصحابه مثلها، فإن أهل الحق الذين لا ريب فيهم هم المؤمنون الذين لا يجتمعون على ضلالة، فأَمَّا أنْ يفرد الإنسان طائفة منتسبة إلى متبوع من الأمة، ويسميها أهل الحق، ويُشعِر بأن كل من خالفها في شيء فهو من أهل الباطل، فهذا حال أهل الأهواء والبدع، كالخوارج والمعتزلة والرافضة .

وليس هذا من فعل أهل السنة والجماعة، فإنهم لا يصفون طائفة بأنها صاحبة الحق مطلقاً إلا المؤمنين الذين لا يجتمعون على ضلالة قال

اللّه تعالى: ﴿ذَلكَ بأنَّ الذين كَفَرُوا اتَّبعوا الباطلَ وأنّ الذينَ آمنُوا اتَّبعوا الحقَّ من رَبّهمْ﴾ .(١)

وهذا نهاية الحق والكلام الذي لا ريب أنه حق، قول اللّه وقول رسوله الذي هو حق وآت بالحق قال تعالى: ﴿واللّهُ يقولُ الحَقَّ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿قولهُ الحقُّ﴾ (٣) وقال الرسول ﷺ **«اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج من بينهما إلا حق»** (٤).

فأهل الحق هم أهل الكتاب والسنَّة، وأهل الكتاب والسنّة على الإطلاق هم المؤمنون، فليس الحق لازماً لشخص بعينه دائراً معه حيثما دار، لا يفارقه قط إلا الرسول ﷺ، إذ لا معصوم من الإقرار على الباطل غيره، وهو حُجّة اللّه التي أقامها على عباده، وأوجب اتباعه وطاعته في كل شيء على كل أحد .

وليس الحق أيضاً لازماً لطائفة دون غيرها إلاَّ للمؤمنين، فإنَّ الحقَ يلزمهم إذ لا يجتمعون على ضلالة، وما سوى ذلك فقد يكون الحقّ فيه مع الشخص أو الطائفة في أمر دون أمر، وقد يكون المختلفان كلاهما على باطل، وقد يكون الحق مع كل منهما من وجه دون وجه، فليس لأحد أَنْ يُسمِّيَ طائفة منسوبة إلى اتباع شخص كائناً من كان غير رسول اللّه ﷺ بأَنَّهم أَهل الحق، إذْ ذلك يقتضي أنَّ كل ما هم عليه فهو حق، وكل من خالفهم في شيء من سائر المؤمنين فهو مبطل، وذلك لا يكون إلا إذا كان متبوعهم كذلك، هذا معلوم البطلان بالاضطرار من

---

(١) سورة محمد: الآية ٣ . (٢) سورة الأحزاب: الآية ٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٧٣ .

(٤) صحيح. رواه أبو داود (٣٦٤١) والدارمي (٤٨٤) وأحمد (٢/١٦٢، ١٩٢) وغيرهم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وذكره شيخنا الألباني في صحيح الجامع (١١٩٦).

دين الإسلام، ولو جاز ذلك لكان إجماع هؤلاء حجة إذا ثبت أنهم أهل الحق.

ثم يذكر أئمته الذين جعلهم أهل الحق، ثم هو يخالفهم كما صنع في مسألة الصفات الخبرية وغيرها، مع أَنَّهم فيها أقرب إلى الحق منه، فكيف يسوغ له أن يخالف من شهد لهم بأَنَّهم أهل الحق فيما اختلف فيه الناس من أصول الدين، وله في ذلك شَبَهٌ قويّ ببعض أئمة الرافضة الذين كانوا بالشام يقال له: ابن العود، رأيت له فتاوى يدّعي فيها في غير موضع، المحقَّة هم أتباع المعصوم المنتظر، ويحتج بإجماع الطائفة المحقة بناء على أنّ قولهم مأخوذ عن المعصوم الذي لا يعرفه أحد، ولم يسمع له بخبر، ولا وقع له على عين ولا أثر، حتى إنَّه قال: إذا تنازعوا في مسألة على قولين أحدهما يعرف قائله دون الآخر، فالقول الذي لا يعرف قائله هو الحق، لأن في أهله الإمام المعصوم.

ثم رأيته يخالف أصحابه ويردّ عليهم في مواضع، فأين مخالفتهم والردّ عليهم في دعوى أَنَّهم الطائفة المحقة الذين لا يتفقون على باطل، وكذلك دعاوى كثير من أهل الأهواء والضلال أَنَّهم المُحِقون أو أَنَّهم أهل اللّه أو أهل التحقيق أو أولياء اللّه، حتى تُوقَف هذه المعاني عليهم دون غيرهم، ويكونون في الحقيقة إلى أعداء اللّه أقرب، وإلى الإبطال أقرب منهم إلى التحقيق بكثير، فهؤلاء لهم شَبَه قوي بما ذكره اللّه عن اليهود والنصارى من قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يدخُلَ الجنةَ إلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نصارَى تلكَ أمانيُّهم قُلْ هاتوا بُرْهانكُمْ إنْ كُنتُمْ صَادقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للّهِ وهُوَ محسنٌ فلهُ أجرهُ عندَ ربِّه ولا خوفٌ عليْهِم ولا هُمْ يحْزَنونَ * وقالتِ اليهودُ ليستِ النَّصارى عَلى شيءٍ وقالت النصارى لَيْست اليهودُ على شيءٍ وهم يتلُونَ الكتابَ كذلكَ قَال الذينَ لا

يعلمونَ مثلَ قولهمْ فاللّه يحكُمُ بيْنهمْ يومَ القيامةِ فيما كانُوا فيه يختلفونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالت اليهُودُ والنصارَى نحنُ أبناءُ اللّه وأحباؤُهُ قل فلِمَ يعذِّبكُمْ بذنوبكُمْ بل أنتمْ بشرٌ ممَّن خلَقَ يَغْفرُ لَمنْ يشاءُ ويعذِّبُ منْ يشاءُ ولِلّهِ ملكُ السماواتِ والأرضِ وما بينهُمَا وإليهِ المصيرُ﴾[2].

الثاني: أنه ذكر عنهم أَنَّهم اتَّبعوا السَّمع والشَّرع، وقد ذكر في أحوالهم التي بها صاروا أهل الحقِّ عندهم، أنّه لم يثبت للّه صفة بالسَّمع، بل إنَّما ثبتت صفاته بالعقل المجرد، وأنَّ الذين أثبتوا ما جاء في القرآن، منهم من أثبته بالعقل، ومنهم من أثبته بالسمع، وردُّه على الطائفتين، فأي اتّباع للسمع والشَّرع إذا لم يثبت به شيء من صفات اللّه بالشَّرع، بل وجوده كعدمه فيما أثبتوه ونفوه من الصِّفات، فأئمتهم كانوا يثبتون الصِّفات بالسَّمع وبالعقل، أو بالسَّمع ويجعلون العقل مؤكداً في الفهم في ذلك ، فأين اتّباعهم للسمع والشَّرع، وقد عزلوه عن الحكم به والاحتجاج به والاستدلال به .

والثالث : قوله يشتد نكيرهم على من ينتسب إلى إنكار مأثور الأخبار والمستفيض من الآثار، فيُقال له: إذا لم يُفدْ منها ثبوت معناها فأيُّ إنكار لها أبلغ من ذلك، وأنت قد ذكرت إعراضهم عنها، وقلت فيها من الفرية ما سنذكر بعضه، فهل الإنكار لمأثور الأخبار ومستفيضها إلا من جنس ما ذكرته في هذا الكلام .

الرابع : ما ذكره أنَّهم يثبتون ما يثبتونه من أمر الآخرة، فيقال لهم: هذا يثبتونه على وجه الجملة إثباتاً يشركهم فيه آحاد العوام، ولا يعلمون

---

(١) البقرة: الآيات ١١١ ـ ١١٣.   (٢) المائدة: الآية ١٨.

من تفصيل ذلك ما يجاب به أدنى السائلين، وليس في كتبهم ما في ذلك من الأحاديث التي وصف بها النبي ﷺ ذلك، ولهذا تجدهم بذلك من أقل الناس علماً بها، أو تجدهم مرتابين فيها أو مكذِّبين، فأيُّ تعظيم بمثل هذا، وأيُّ مزية بهذا على أوساط العوام أو أدناهم، بل كثير من عوام المؤمنين يؤمن بتفاصيل هذه الأمور، ويعلم منها مما أخبره به الشارع، ما ليس مذكوراً في أصول هؤلاء، وإنما الفضيلة على عموم المؤمنين، بأن يكون عندالإنسان أو الطائفة من أهم العلم الذي لا يوجد عند عموم المؤمنين، وليس فيما ذكره من هذه الأصول ذلك.

الخامس : الحجة أنهم نفوا التحسين والتقبيح العقليين، وجعلوا أحكام الأفعال لا تُتلقى إلا من الشرع، فإنّه بَيَّن بذلك تعظيمهم للشَّرع واتّباعهم له، وأنَّهم لا يعدلون عنه ليثبت بذلك تسننهم، وهذا الأصل هو من أصول المبتدعة في الإسلام، لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها: إن العقل لا يُحسِّن ولا يُقبِّح، أو أنَّه لا يُعلمُ بالعقل حُسن فعل ولا قُبْحه، بل النزاع في ذلك حادث في حدوث المائة الثالثة، أمّا النزاع في ذلك بين فقهاء الأمة وأهل الحديث والكلام منها، فما من طائفة إلا وهي متنازعة في ذلك، ولعل أكثر الأمة تخالف في ذلك، وقد كتبنا في غير هذا الموضع فصل النزاع في هذه المسألة، وبيّنا ما مع هؤلاء فيها من الحق، وما مع هؤلاء فيها من الحق، ثم يقال: ولو كانت هذه المسألة حقاً على الإطلاق فليس لك ولا لأصحابك فيها حجة نافية، بل عمدتك وعمدة القاضي ونحوكما على مطالبة الخصم بالحجة والقدح فيها فيما يبديه والقدح في دليل المنازع - إنْ صحَ ذلك - لا يوجب العلم بانتفاء قوله إنْ لمَ يقُمْ على اليقين دليل، وعمدة إمام المتأخرين ابن الخطيب الاستدلال على ذلك بالجبر، وهو من أفسد الحجج، فإن الجبر سواء كان حقاً أو باطلاً كما

لا يبطل الحكم الشرعي، لا ينفي ثبوت أحكام معلومة بالعقل، كما لا ينفي الأحكام التي يثبتها الشارع .

وعمدة الآمدي بعده أن الحُسن والقُبح عرَض، والعرض لا يقوم بالعرض، وهذا من المغاليط التي لا يستدل بها إلا جاهل أو مغالط، فإنه يقال في ذلك ما يقال في سائر صفات الأعراض، وغايته أن يكون كلاهما قائماً بمحل العرض، ونفي الحكم المعلوم بالعقل، مما عدّه من بدع الأشعريِّ التي أحدثها في الإسلام علماءُ أهل الحديث والفقه والسنة، كأبي نصر السجزي وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني دع من سواهم.

السادس : تسمية الأخبار التي أخبر بها الرسول عن ربه أخباراً متشابهة، كما يسمّون آيات الصفات متشابهة، وهذا كما يسمِّي المعتزلة الأخبار المثْبِتة للقدر متشابهة، وهذه حال أهل البدع والأهواء الذين يسمّون ما وافق آراءهم من الكتاب والسنة محكماً، وما خالف آراءهم متشابهاً، وهؤلاء كما قال الله تعالى: ﴿ويقولونَ آمنّا بالله وبالرّسولِ وأطَعنا ثُم يتولّى فريقٌ منهُم من بعدِ ذلكَ وما أولئكَ بالمؤمنينَ * وإذَا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكمَ بينهُمْ إذا فريقٌ منهُم معرضُونَ * وإنْ يَكُنْ لَهُمُ الحقُّ يأتُوا إليهِ مُذْعِنِين * أفي قُلُوبهِمْ مرضٌ أمِ ارتابُوا أمْ يَخافُونَ أنْ يَحيفَ اللّه عليهم ورسولُه بل أولَئكَ همُ الظَّالمونَ﴾(١) وكما قال تعالى: ﴿أفتؤمنونَ ببعضِ الكتابِ وتكفرون ببعضٍ﴾(٢) ، وكما قال تعالى: ﴿فتقطّعوا أمرَهُم بينهم زُبُراً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحونَ﴾(٣) .

السابع: قياسه لما سمّاه المتشابه في الأخبار على المتشابه في آي الكتاب، ليلحقه به في الإعراض عن ذكره وعدم الاشتغال به، وحاشا لله

---

(١) سورة النور: الآيات ٤٧ ـ ٥٠ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٨٥ .
(٣) سورة المؤمنين : الآية ٥٣.

أن يكون في كتاب اللّه ما أمر المسلمين بالإعراض عنه وعدم التشاغل به، أو أن يكون سلف الأمة وأئمتها أعرضوا عن شيء من كتاب اللّه لاسيّما الآيات المتضمنة لذكر أسماء اللّه وصفاته، فما منها آية إلا وقد روى الصحابة فيما يوافق معناها ويفسِّروه عن النبي ﷺ، وتكلّموا في ذلك بما لا يحتاج معه إلى مزيد، كقوله تعالى: ﴿وما قدرُوا اللّه حقَّ قدْرهِ والأرضُ جميعاً قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسماواتُ مطوياتٌ بيمينه﴾(١) فإن المتأخرين وإن كان فيهم مَنْ حرَّف، فقال: قبضته قدرته، وبيمينه بقوته أو بقَسَمه أو غير ذلك، فقد استفاضت الأحاديث الصحيحة التي رواها خيار الصحابة وعلماؤهم وخيار التابعين وعلماؤهم، بما يوافق ظاهر الآية، ويفصل المعنى لحديث أبي هريرة المتفق عليه وحديث عبداللّه ابن عمر المتفق عليه وحديث ابن مسعود في قصة الخبر المتفق عليه ، وحديث ابن عباس الذي رواه الترمذي وصححه، وغير ذلك ، وكذلك أنه خلق آدم بيديه، وغير ذلك من الآيات .

الثامن : قوله: والدَّليل عليه أنَّ أئمة السنَّة وأخيار الأمة بعد صَحْب النَّبي ﷺ لم يُودعْ أحد منهم كتابه، الأخبار المتشابهات، فلم يورد مالك رضي اللّه عنه في الموطأ منها شيئاً، كما أورده الآجري وأمثاله، وكذلك الشافعي وأبو حنيفة وسفيان والليث والثوري، ولم يعتنوا بنقل المشكلات فإن هذا الكلام لا يقوله إلا من كان من أبعد الناس عن معرفة هؤلاء الأئمة، وما نقلوه وصنفوه، وقوله رجم بالغيب من مكان بعيد، فإن نقل هؤلاء الأئمة وأمثالهم لهذه الأحاديث، مما يعرفه من له أدنى نصيب من معرفة هؤلاء الأئمة، وهذه الأحاديث عن هؤلاء وأمثالهم أخذت، وهم

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧.

الذين أدّوها إلى الأمة، والكذب في هذا الكلام أظهر من أَنْ يحتاج إلى بيان، لكن قائله لم يتعمد الكذب، ولكنه قليل المعرفة بحال هؤلاء، وظن أن نقل هذه الأحاديث لا يفعله إلا الجهال الذين يسميهم المشبهة أو الزنادقة، وهؤلاء براء عنده من ذلك، فتركبّ من قلة علمه بالحق ، ومن هذا الظن الناشئ عن الاعتقاد الفاسد ، هذا الكلام الذي فيه من الفرية والجهل والضلال، ما لا يخفى على أدنى الرجال.

التاسع : قوله: لم يورد مالك في الموطأ منها شيئاً وقد ذكر أحاديث النزول وأحاديث الضحك فيما أنكره، ومن المعلوم أن حديث النزول من أشهر الأحاديث في موطأ مالك رواه عن أجلِّ شيوخه ابن شهاب عمن هو مِنْ أجلِّ شيوخه، أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي عبدالله الأغرّ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»(1). ورواه أهل الصحاح كالبخاري ومسلم من طريق مالك وغيره، وأحاديث النزول متواترة عن النبي ﷺ رواها أكثر من عشرين نفساً من الصحابة، بمحضر بعضهم من بعض والمستمع لها منهم يصدِّق المحدث بها ويقرُّه، ولم ينكرها منهم أحد، ورواه أئمة التابعين وعامة الذين سمّاهم من الأئمة رووا ذلك وأودعوه كتبهم، وأنكروا على من أنكره .

قال شارح الموطأ: الشرح الذي لم يشرح أحد مثله الإمام أبو عمر ابن عبد البر: هذا الحديث ثابت، فمن جهة النقل صحيح الإسناد، لا

(1) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) وموطأ مالك (٤٩٦) وغيرهم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

يختلف أهل الحديث في صحته .

قال: وهو حديث منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ، وفيه دليل على أن اللّه عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن اللّه في كل مكان وليس على العرش، وبسط الكلام في ذلك.

وكذلك أحاديث الضحك متواترة عن النبي ﷺ وقد رواها الأئمة وروى مالك في الموطأ منها حديثه عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «**يضحك اللّه إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا في سبيل اللّه فيُقتل، ثم يتوب اللّه على القاتل، فيقاتل في سبيل اللّه فَيُسْتَشْهَد**»(١) وقد أخرجه أهل الصحاح من حديث مالك وغير مالك، ورواه أيضاً سفيان الثوري الإمام عن أبي الزناد وحدّث به.

وقد روى صاحبا الصحيح منها قطعة مثل هذا الحديث، ومثل حديث أبي هريرة، وحديث أبي سعيد الطويل المشهور فيه «**فلا يزال يدعو اللّه حتى يضحك اللّه منه، فإذا ضحك اللّه منه قال: ادخل الجنة**» (٢) ورواه أعلام التابعين بإجماع المسلمين سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وغير سعيد أيضاً، ورواه عنه الزهري وعنه أصحابه، وفي هذا الحديث «**فيأتيهم اللّه في صورته التي يعرفون**» وهذا الحديث في الصحيحين من طريق أخرى عن أبي سعيد من رواية الليث بن سعد إمام المسلمين وغيره الذي زعم أنه لم يكن يروي هذه الأحاديث، وفيه ألفاظ عظيمة أبلغ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) وموطأ مالك (١٠٠٠) وغيرهم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) وغيرهما عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .

من الحديث الأول كقوله «**فيرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة**» وقوله فيه «**فيكشف عن ساقه**» وقوله: «**فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض من النار فيخرج أقواماً قد امتُحِشُوا**»[١].

وقد روى مالك أيضاً عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**لما قضى اللّه الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**»[٢] أخرجه أصحاب الصحاح، كالبخاري من طريقه وطريق غيره .

وروى البخاري في صحيحه عن عبيد اللّه عن نافع عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ قال : «**إن اللّه يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك**» رواه سعيد عن مالك[٣].

وقد روى مالك في موطئه عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أَنّه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أَنَّ عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٤]، فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول اللّه ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول اللّه ﷺ: «**إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذُرِّيَّةً، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذُرِّيَّة، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**» .

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه .

(٢) رواه البخاري (٧٤٥٣) ومسلم (٢٧٥١) وغيرهما عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .

(٣) رواه البخاري (٧٤١٢) ورواه مسلم (٢٧٨٧) من طريق أُخر عن ابن عمر وكذا عن أبي هريرة رضي اللّه عنهم. وغيرهما عن ابن عمر رضي اللّه عنهما .

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٢ .

فقال رجل : يارسول اللّه ففيم العمل؟ فقال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار**»[1]. وهذا الحديث إنَّما رواه أهل السنن والمسانيد كأبي داود والترمذي والنسائي وقال: حديث حسن صحيح. وقد قيل: إنَّ إسناده منقطع وإن راويه مجهول ومع هذا فقد رواه مالك في الموطأ مع أنه أبلغ من قوله لقوله : «**ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية... ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية**» .

ومن العجب أن الآجري يروي في كتاب الشريعة له من طريق مالك والثوري والليث وغيرهم، فلو تأمل أبو المعالي وذووه الكتاب الذي أنكروه لوجدوا فيه ما يخصمهم، ولكن أبا المعالي مع فرط ذكائه وحرصه على العلم، وعلو قدره في فنه، كان قليل المعرفة بالآثار النبوية، ولعله لم يطالع الموطأ بحال حتى يعلم ما فيه، فإنه لم يكن له بالصحيحين البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وأمثال هذه السنن علم أصلاً، فكيف بالموطأ ونحوه؟ وكان مع حرصه في الاحتجاج في مسائل الخلاف في الفقه، إنَّما عمدته سنن أبي الحسن الدارقطني، وأبو الحسن مع إتمام إقامته في الحديث، فإنَّه إنَّما صنف هذه السنن كي يذكر فيها الأحاديث المستغربة في الفقه، ويجمع طرقها فإنها هي التى تحتاج فيها

---

(١) رواه مالك (١٦١٨) وأبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥) وأحمد (٤٤/١) وغيرهم عن عمر بن الخطاب، وقال شيخنا الألباني في تخريج شرح الطحاوية (٢٢٠) : صحيح لغيره، إلا مسح الظهر، فلم أجد له شاهداً.

إلى مثله، فأما الأحاديث المشهورة في الصحيحين وغيرهما فكان يستغني عنها في ذلك، فلهذا كان مجرد الاكتفاء بكتابه في هذا الباب يورث جهلاً عظيماً بأصول الإسلام، واعتبر ذلك بأن كتاب أبي المعالي الذي هو نخبة عمره «نهاية المطلب في دراية المذهب» ليس فيه حديث واحد معزو إلى صحيح البخاري إلا حديث واحد في البسملة وليس ذلك الحديث في البخاري كما ذكره، ولقلة علمه وعلم أمثاله بأصول الإسلام، اتفق أصحاب الشافعي على أنه ليس لهم وجه في مذهب الشافعي، فإذا لم يسوّغ أصحابه أن يعتد بخلافهم في مسألة من فروع الفقه كيف يكون حالهم في غير هذا، وإذا اتفق أصحابه على أنه لا يجوز أن يُتَّخذ إماماً في مسألة واحدة من مسائل الفروع، فكيف يُتَّخذُ إماماً في أصول الدين، مع العلم بأنه إنما نبل قدره عند الخاصة والعامة بتبحره في مذهب الشافعي رضي اللّه عنه، لأن مذهب الشافعي مؤسسَ على الكتاب والسنة وهذا الذي ارتفع به عند المسلمين غايته فيه أنه يوجد منه نقل جمعه أو بحث تفطن له فلا يُجعل إماماً فيه، كالأئمة الذين لهم وجوه فكيف بالكلام الذي نص الشافعي وسائر الأئمة على أنه ليس بعد الشرك باللّه ذنب أعظم منه .

وقد بيّنا أن ما جعله أصل دينه في الإرشاد والشامل وغيرهما، هو بعينه من الكلام الذي نصت عليه الأئمة، ولهذا روى عنه ابن طاهر أنه قال وقت الموت: لقد خضت البحر الخضم، وخليّتُ أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يدركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا أموت على عقيدة أمي، أو عقائد عجائز نيسابور .

قال أبو عبدالله الحسن بن العباس الرستمي: حكى لنا الإمام أبوالفتح الفقيه ابن علي الطبري الفقيه، قال : دخلنا على الإمام أبي المعالي الجويني نعوده في مرضه الذي مات فيه بنيسابور فأُقعدَ فقال لنا: اشهدوا عليَّ أني رجعت عن كل مقالة قلتُها أخالف فيها ما قال السلف الصالح عليهم السلام ، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور.

وعامة المتأخرين من أهل الكلام سلكوا خلفه من تلامذته وتلامذة تلامذته وتلامذة تلامذة تلامذته ومن بعدهم .

ولقلّة علمه بالكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، يظن أن أكثر الحوادث ليس في الكتاب والسنة والإجماع ما يدل عليها، وإنما يُعلم حكمها بالقياس، كما يذكر ذلك في كتبه، ومن كان له علم بالنصوص ودلالتها على الأحكام علم أن قول أبي محمد بن حزم وأمثاله: أن النصوص تستوعب جميع الحوادث أقرب إلى الصواب من هذا القول، وإن كان في طريقة هؤلاء من الإعراض عن بعض الأدلة الشرعية ما قد يُسمى قياساً جلياً، وقد يجعل من دلالة مثل فحوى الخطاب والقياس في معنى الأصل وغير ذلك، ومثل الجمود على الاستصحاب الضعيف، ومثل الإعراض عن متابعة أئمة من الصحابة ومن بعدهم ما هو معيب عليهم، وكذلك القدح في أعراض الأئمة، لكن الغرض أن قول هؤلاء في استيعاب النصوص للحوادث، وأن الله ورسوله قد بين للناس دينهم هو أقرب إلى العلم والإيمان الذي هو الحق ممن يقول: إنَّ الله لم يُبيِّن للناس حُكْم أكثر ما يحدث من الأعمال ، بل وَكَّلهم فيها إلى الظنون المتقابلة والآراء المتعارضة .

ولاريب أنّ سبب هذا كله ضعف العلم بالآثار النبوية والآثار السلفية،

وإلا فلو كان لأبي المعالي وأمثاله بذلك علم راسخ، وكانوا قد عضُّوا عليه بضرس قاطع لكانوا ملحقين بأئمة المسلمين، لما كان فيهم من الاستعداد لأسباب الاجتهاد، ولكن اتّبع أهل الكلام المحدث والرأي الضعيف للظن، ولما تهوى الأنفس، الذي يقود صاحبه إلى حيث جعله اللّه مستحقاً لذلك، وإن كان له من الاجتهاد في تلك الطريقة ما ليس لغيره، فليس الفضل بكثرة الاجتهاد ولكن بالهدى والسداد، كما جاء في الأثر: ما ازداد مبتدع اجتهاداً إلا ازداد من اللّه بعداً[1] و قال النبي ﷺ في الخوارج «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يُجَاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» [2].

ويوجد لأهل البدع من أهل القبلة ولكثير من الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم من الاجتهاد ما لا يوجد لأهل السنة في العلم والعمل، وكذلك لكثير من أهل الكتاب والمشركين، لكن إنما يرُاد الحَسَنُ من ذلك، كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملاً﴾[3][4] قال : أخْلَصُه وأصْوَبه، فقيل له: يا أبا عليّ ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً وصواباً، والخالص أن يكون للّه، والصواب أن يكون على السنة» [5].

وبعد هذا السياق الطويل الذي سُقناه عن الإمام ابن تيمية رحمة اللّه

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/٩) عن الإمام أيوب السختياني رحمه الله موقوفاً عليه.

(٢) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) سورة الملك: الآية ٢.

(٤) البخاري (٩٩/٩) .

(٥) (٣٠١/٨) .

عليه، في ردهِّ على أبي المعالي الجويني، الذي زعم أنّه ليس في الموطأ من أحاديث الصفات شيء، وقد تعمّدت ذكر هذا كله ليقف القارئ على هذه الحقائق، التي يجهلها أكثر الناس عن أئمة الأشاعرة، الذين جعلوهم العمدة في التوحيد وأصول الدين، وهم مع التحقيق لا علم لهم بالكتاب ولا بالسنة ولا بالآثار السلفية، فكيف لهم بمعرفة ما به الضرورة من أصول الدين، فأنَّى لهم بالإمامة والقدوة كما بيّن ذلك الشيخ ابن تيمية رحمه اللّه، فنسوق أحاديث الصفات من كتاب الموطأ، ناقلين ذلك بالصفحة والجزء، مستعينين باللّه فهو حسبنا ونعم الوكيل .

صفة الحياء

◉ روى الإمام مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة الأنصاري إلى رسول اللّه ﷺ فقالت: يارسول اللّه إنّ اللّه لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال: «نعم إذا رأت الماء» (١) .

وروى مالك أيضاً عن إسحاق بن عبداللّه بن أبي طلحة عن أبي مُرّة مولى عقيل بن أبي طالب عن أبي واقد الليثيّ، أن رسول اللّه ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول اللّه ﷺ، وذهب واحد، فلمّا وقفا على رسول اللّه ﷺ سلّما، فأما أحدهما، فرأى فرجة في الحلقة، فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول اللّه ﷺ قال: «ألا أخبركم على

---

(١) رواه مالك (١١٤) والبخاري (١٣٠) ومسلم (٣١٣) وغيرهم عن أم سلمة رضي الله عنها.

النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه» (١) .

التعليق :

روى الإمام مالك هذا النص الصحيح الصريح في هذه الصفة، وهو من أنصح الناس للأمة، فلم يؤوله ولم يحرِّفه ولم يعطله، وعادته رضي الله عنه في موطئه، يعلِّق على النصوص التي فيها خلاف بين أهل المدينة وغيرهم، أو يكون له رأي في توجيه النص، أما هذا فلإجماع السلف على إثباته والقول بظاهره، أقره على ما هو عليه، ولو كان هناك ما يفضي إلى خلاف الظاهر لبيّنه .

صفة الرحمة

روى الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، أنَّه سمع أبا السائب مولى هشام بن زُهْرَة يقول: سمعت أبا هُريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهيَ خداج هيَ خداج، هي خداج غير تمام»** قال : فقلت، يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام، قال: فغمز ذراعي ثم قال: اقرأ بها في نفسك يافارسيّ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل»** قال رسول الله ﷺ: **«يقول العبد ﴿الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ﴾، يقول الله تبارك وتعالى: حمدني عبدي، ويقول العبد: ﴿الرحمنِ الرحيمِ﴾، ويقول الله: أثنى عليّ**

---

(١) رواه مالك (١٧٤٨) والبخاري (٦٦) ومسلم (٢١٧٦) عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

عبدي، ويقول العبد: ﴿مالكِ يومِ الدين﴾ يقول اللّه: مجّدني عبدي، يقول العبد: ﴿إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ﴾ فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿اهدنَا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذينَ أنعمتَ عليهمْ غيرِ المغضوبِ عليهمْ ولا الضالينَ﴾ فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»(١).

التعليق :

فماذا يقول أبو المعالي الجويني وغيره في هذا النص النبوي العظيم، فهذا النص قد جمع أُمّهات الصفات، بل كما قال الرسول ﷺ في الفاتحة: إنها (أمُّ القرآن) وذلك لجماعها أصول الأسماء والصفات خاصة، وأصول الدين والعبادة وجزاء المتقين والمخالفين، فصفة الرحمة ظاهرة في القرآن والسنة، وأُكدّت في غير ما آية وحديث، وهذا حديث قدسي من أصحِّ الأحاديث، أخرجه مسلم بهذا اللفظ وغيره، فالثناء على اللّه بصفاته وأسمائه طريق أهل الحق والتوحيد، لا التوسل بالذات والأشخاص كطريق المبتدعين ، فحديثنا القدسي يتضمن الثناء بصفة الرحمة من العبد لربِّه، وإجابته تبارك وتعالى بقوله «أثنى عليَّ عبدي»، فهل يردُّه المعطلة، ويقولون فيه معناه إرادة الإحسان .

وهذا لِعمر اللّه هو التحريف ، فالإمام مالك رضي اللّه عنه لِشدَّةِ وَرَعِه ولسداد فهمه ولعلمه باللغة العربية منطوقها ومفهومها، ترك الحديث على ظاهره، وأثبت ما أثبته اللّه لنفسه في حديث نبيّه القدسي، وهذه هي الطريقة المثلى، وغيرها تحريف وضلال، والحديث فيه من الصفات صفة الملك والربوبية وحصر العبادة وتوحيدها للّه تعالى، وستأتي كل واحدة إن شاء اللّه في محلها، والحديث يحتاج إلى بسط

---

(١) رواه مالك (١٨٥) ومسلم (٣٩٥) وأبو داود (٨٢١) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وشرح ليبيِّن ما فيه من العلوم والحكم، وليس قصدنا هذا، ولكن القصد أن نثبت أحاديث الصفات ونذكرها من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس محققين ما ذكره أنّه ألّفه ضد الجهمية الذين يُضلُّون الناس، كما سبق أن نقلنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية .

● وروى مالك عن نافع عن عبداللّه بن عمر أَنّ رسول اللّه ﷺ قال: «اللهم ارحم المحلقين» قالوا: والمقصرين يارسول اللّه، قال: «اللهم ارحم المحلقين»، قالوا : والمقصِّرين يارسول اللّه، قال : «والمقصرين» [1] .

التعليق :

فهل النُفاة والمعُطلة أعلم باللّه من رسول اللّه الذي يصف ربَّه بالرحمة الكاملة السابغة الشاملة، أو ماذا، أو يفسِّرونها بلازمها، وتفسيرهم دعاهم إليه مذهبهم الباطل وأصلهم الفاسد، الذي وضعوه لتأويل آيات الصفات، والإمام مالك يذكر هذه الصفات في موطئه، ويقرّها على ما هي عليه رضي اللّه عنه وأرضاه .

● وروى مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريِّ، أنّه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يُعلِّم الناس التَّشهد يقول : قولوا «التحيات للّه، الزاكيات للّه، الطيبات الصلوات للّه، السَّلام عليك أيُّها النبي ورحمة اللّه وبركاته، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين، أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله» [2]

(١) رواه مالك (٨٩٦) والبخاري (١٧٢٧) ومسلم (١٣٠١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه مالك (٢٠٠) والبيهقي (١٤٤/٢) عن عمر بن الخطاب، قال شيخنا الألباني في صفة الصلاة (١٦٤): بسند صحيح، والحديث وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع، لأن من المعلوم =

التعليق :

هكذا يروي الإمام مالك هذه النصوص العظيمة في التوحيد، وفيها من الصفات ما يثلج صدر السلفي ، ويضيق صدر الجهمي المؤول المحرِّف الذي يتضايق من ذكر هذه النصوص، فيضطر إلى تحريفها وتعطيلها، كما فعل ابن فورك وغيره من أئمة المُحرِّفة المعطلة، الذين جمعوا أحاديث الصفات وحرَّفوها، وأتوا لها بما لم يأت به السَّلف الصالح وسَمَّوْها بعناوين، نفث إبليس في روعهم، فَسَمَّوها مُشكل الحديث، ولازم هذا أن رسول اللّه ﷺ حدثنا بما لا يجوز له أن يحدث به، أو كان يشير إلى ألفاظ ومعان، ما استطاع أن يفصح لعموم الأمة بها ويأخذ ذلك عنه صحابته الكرام وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، كما في هذا الأثر الذي يروي عنه الإمام مالك، وذكر مالك هذه المشكلات، ودلّس على الأمة بالسكوت عنها، وأدخلها في كتابه غاشاً للأمة، فلله العجب ما أقبحه من تصور، فلو أنفق أحدنا مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ معشارهم .

فأين الثرى من الثريّا ؟

خير القرون المرضية تقارن بين من دخل في دين الروافض والمجوس والمعطلة الجهمية، واللّه المستعان .

وقد ذكر الإمام مالك تشهُّد عبد اللّه بن عمر وعائشة أم المؤمنين، وكلها مليئة بالتوحيد والصفات والشهادة للنبي بالرسالة والنبوة، فالنموذج الأول يكفي من ذكر بقية الروايات ، فمن شاء رجع إلى المصدر نفسه، وأخذ من صفات اللّه وأسمائه ما يحتاج إليه .

= أنه لا يقال بالرأي ، ولو كان رأياً لم يكن هذا القول من الذكر أولى من غيره من سائر الذكر، كما قال ابن عبد البر.

صفة الملل

● روى مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه بلغه أن رسول اللّه ﷺ سمع امرأة من الليل تصلي، فقال: «مَنْ هذه»، فقيل له : هذه الحولاء بنت تويت لا تنام الليل، فكره ذلك رسول اللّه ﷺ حتى عرفت الكراهية في وجهه، ثم قال: «**إن اللّه تبارك وتعالى لا يملُّ حتى تَملُّوا، اكلفوا** (*) **من العمل ما لكم به طاقة**»(١) .

التعليق :

هذه صفة الملل وهي كصفات الاستهزاء والخداع المضافة للّه في القرآن، والصواب فيها ما عليه أئمة السلف من إثباتها للّه تعالى على طريق الكمال، فله استهزاء يليق به، وهو منه تبارك وتعالى عدل وإنصاف، وله ملل يليق به، وهو كمال، وغير ذلك مما ورد في هذا المعنى.

صفة الغضب

روى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، أن رسول اللّه ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب اللّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» (٢).

(*) اكلفوا: أي اعملوا ما لكم به طاقة .

(١) رواه مالك (٢٥٦) عن إسماعيل بن أبي حكيم معضلاً، ورواه البخاري (١١٥١) ومسلم(٧٨٥) بنحوه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مالك (٤١٤) عن عطاء مرسلاً، وسنده صحيح، ورواه أحمد (٢٤٦/٢) والحميدي (١٠٢٥) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٣/٦) (٣١٧/٧) عن أبي هريرة، وصحّحه البزار وابن عبد البر، وانظر تنوير الحوالك (١٨٦/١) وشرح الزرقاني (٣٥١/١).

وقد تقدم[1] في حديث مالك عن العلاء بن عبد الرحمن في الحديث القدسي، يقول العبد: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، «**فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل**».

صفة الغَيْرَة

● روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: خسفَتْ الشمس في عهد رسول اللّه ﷺ، فصلى رسول اللّه ﷺ بالناس فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول ، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فسجد ، ثم فعل في الركعة الآخرة مثل ذلك، ثم انصرف، وقد تجلت الشمس، فخطب الناس فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: «**إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات اللّه لا يخْسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وتصدَّقوا**» ثم قال: «**يا أُمَّة محمدٍ واللّه ما من أحد أغير من اللّه أن يزني عبده، أو تزني أمته، واللّه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»[2].

التعاليق :

في الحديث إثبات الغيرة للّه تعالى من رسول اللّه ﷺ، وهو أعلم الناس به، فماذا سيقول الجهمية؟ هل سيقرُّون الصفة على ظاهرها فيثبتونها كما أثبتها السلف الصالح، أو سوف يحرِّفونها إلى ما تمليه

---

(١) انظر ص ١١٨.

(٢) رواه مالك (٤٤٤) والبخاري (١٠٤٤) ومسلم (٩٠١) وغيرهم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

عليهم شياطينُهم وإلى ما تهواه أنفسهم، التي أُشْرِبت بحبِّ البدع والمبتدعة، والإمام مالك رضي اللّه عنه بريء منهم عدوٌّ لهم .

ماجاء في قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾

❁ روى مالك عن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها، فلما أصبح غدا إلى رسول اللّه ﷺ، فذكر ذلك له، وكأنّ الرجل يتقالُّها، فقال رسول اللّه ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»** (١).

التعليق :

لماذا هذا التعظيم لهذه السورة القصيرة، ألها خاصية من الخواص؟ أم ماذا؟ والحقيقة أن خاصيتها لما تحمله من معاني التَّوحيد وجوامع الأسماء والصِّفات. فهذا المردد لقراءتها يردد العقيدة في قلبه ويثني على اللّه تعالى بما هو أهله، فلا مزية لها إلا ذلك، والقرآن كله خير وبركة، وأعظم آياته بما دل على أسمائه وصفاته، فالإمام مالك يذكر هذه النصوص في موطئه مقتنعاً بدلالتها وما تحويه من معانٍ سامية، وهو بذلك يشارك في نقل سنة رسول اللّه ﷺ إلى أمة محمد، ويثبت عقيدتها بما ينبغي أَنْ تثبت به .

---

(١) رواه مالك (٤٨٥) والبخاري (٥٠١٣) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

صفة السمع

● روى مالك عن نُعيم بن عبد اللّه المجْمِر عن علي بن يحيى الزرقي عن أبيه عن رفاعة بن رافع أنَّه قال : كُنَّا يوماً نصلي وراء رسول اللّه ﷺ فلمّا رفع رسول اللّه ﷺ رأسه من الركعة ، وقال : «**سمع الله لمن حمده**» قال رجل وراءه: ربَّنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلمّا انصرف رسول اللّه ﷺ قال: «**مَنْ المتكلم آنفاً**» فقال الرجل : أنا يارسول اللّه، فقال رسول الله ﷺ «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيُّهم يَكْتُبُهُنَّ أولاً**» (١) .

التعليق :

هكذا كان الصحابة رضوان اللّه عليهم يفهمون العقيدة فهماً جذرياً أساسياً واضحاً، فبمجرد ما يسمعون أو يقرأون اسماً أو صفةً للّه تبارك وتعالى يتبادرون إلى التعلُّق بها، فيثبتونها ويثنون على اللّه بها، فهذا الرجل المذكور في الحديث لم يقل هذا الدعاء الذي أعجب النبي ﷺ وتخطفته الملائكة تتسابق إلى كتابته، إلا لإدراكه صفة اللّه التي ذكرها رسول اللّه ﷺ، والجهمية وضروبهم يَحْرمون الناس من هذا الخير الكثير، ويصدُّونهم عنه بضلالهم وتعطيلهم الخبيث، فرضِيَ اللّه عن الإمام مالك إذ يكثر في موطئه إثبات الأسماء والصفات يُرغِم بذلك أنوفَ المعطلة .

---

(١) رواه مالك (٤٩٣) والبخاري (٧٩٩) وأبو داود (٧٧٠) وغيرهم عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

صفة النـزول

● روى مالك عن ابن شهاب عن أبي عبدالله الأغرّ وعن أبي سلمة عن أبي هريرة أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «**ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السَّماء الدُّنيا حين يبقى ثُلث الليل الآخر فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطيَه، من يستغفرني فأغفرَ له**» (١) .

التعليق :

هذا من الأحاديث التي أكثر الجهمية فيها الخوض والشَّغب ، وبَيَّن لهم أهل السُّنَّة المنهاج الصَّحيح في هذه الصفة ومثلها، وقد ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مفيدة سماها شرح حديث النزول، وألّف الدارقطني قبله رسالة جمع فيها أحاديث النزول، وحديث النزول متواتر الطرق والمعنى، أجمع عليه أئمة السلف ، ورواه المصنفون في كتبهم أصحاب الصحاح وغيرهم ، والنزول نقول فيه كما قال الإمام رحمه اللّه في صفة الاستواء: النزول معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه أي عن الكيفية بدعة، فرحم اللّه الإمام مالكاً إذ يروي لنا هذه الأحاديث العظيمة التي نزداد بها إيماناً، ويترتب عليها من المنافع الدنيوية والأخروية ما اللّه عليم به، فمن يعترف بنزول اللّه تعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يكثر تعلقه بربه، ويَجْتَهد في دعائه، وتَكْمُل بذلك عبوديته، وتُقْضى حاجته، ويُغْفر ذنبه، إلى غير ذلك من المنافع التي يعرفها أولو الأبصار.

---

(١) رواه مالك (٤٩٨) والبخاري (٦٣٢١) ومسلم (٧٥٨) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

● روى مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أَنّ عائشة أمَّ المؤمنين قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول اللّه ﷺ ففقدته من الليل فلمسته بيدي، فوضعت يدي على قدمه وهو ساجد يقول: «**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» [1].

التعليق :

هكذا يتعلق رسول اللّه ﷺ بصفات اللّه، ويلوذ بها، ويستعيذ بها ويجعلها وِرْده في أهمِّ عبادته وفي أعظم حالة عبوديته ، فليست هناك حالة أعظم من السجود، ففي السجود تجتمع الجوارح والقلب، وهو التعبير الكبير على العبودية، فماذا يقول الجهمية قبَّحهم اللّه في صدِّ الناس عن أسماء اللّه وصفاته التي هي سعادة الدارين، وهي متعلق نبينا ﷺ، وهي عروته الوثقى، وهي مفْزعَه في شدِّته وكربه، لا مفْزَع له سواها ، فالإمام مالك ومشايخه وتلامذته يؤكدون هذه الحقيقة بهذه الأسانيد، وهذه الروايات ، فأين أبو المعالي الجويني وأترابه من أذناب الجهمية والمعتزلة من صفة الرضا والسخط المستعاذ بهما والمستعاذ منهما؟ فهل يفسِّرون الرضا بلازمه وهو إرادة الثواب؟ والسخط بلازمه، وهو إرادة العقاب؟ فهذا لعمر اللّه من الحماقات والسفاهات التي ما خطرت ببال الإمام مالك وسلفه الصالح رضوان اللّه عليهم .

---

(١) رواه مالك (٤٩٩) ومسلم (٤٨٦) وأبو داود (٨٧٩) وغيرهم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

• روى مالك عن أبي الزبير المكي عن طاووس اليماني عن عبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول **«اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيّام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربّ السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدّمت وأخّرت، وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»** (١) .

التعليق :

هذه الابتهالات وهذه العبودية الكاملة من إمام المتقين وسيد المرسلين تدل دلالة واضحة على عظم الأسماء والصفات، وأنّ نبي الله ﷺ كان يغذّي روحه وجسمه بها في كل لحظة من لحظات حياته، فماذا لو أردنا شرح هذا الدعاء العظيم وتتبعه جزئية جزئية اسماً وصفةً واعترافاً بالانقياد الكامل، والوقوف على عتبة العبودية في أفضل الأوقات .

فمن يقرأ هذا النص ومثله يعرف سفاهة الجهمية وأمثالهم من دعاة التعطيل ، فصلّى الله على نبينا محمد، وجزاه عنا خيراً إذ علّمنا هذه الأسماء وهذه الصفات، نستفيد بها في دنيانا وأخرانا ، ورحمة الله على الإمام مالك إذ روى لنا هذه النصوص ومثلها، وأيقظ الله شباب المسلمين

---

(١) رواه مالك (٥٠٢) والبخاري (٦٣١٧) ومسلم (٧٦٩) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لدراسة هذه النصوص والاقتداء بها، فله الحمد، وهو الحق، وهو نور السماوات والأرض، يا من اتصف بالنور الحق نوِّر قلوبَنا، واهدنا إلى الحق، فأنت الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق .

صفة المحبة والكراهية

● روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرجِ عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «**قال اللّه تبارك وتعالى إذا أحبّ عبدي لقائي أحببتُ لقاءه وإذا كره لقائي كرهتُ لقاءه**» [(١)] .

التعليق :

في هذا النص العظيم محبة اللّه لعبده إذا أحبّ لقاءه، وكراهة اللّه لعبده وللقاء عبده إذا كره لقاءه، فمحبّة اللّه صفته اللائقة به وبكماله ، ومحبة العبد لائقة به وبضعفه وعجزه، وكراهية اللّه صفة تليق به وبكماله وبعدله وإحسانه، وكراهة المخلوق صفة تليق به وبعجزه وتقصيره .

فهذا الحديث الجامع لهاتين الصفتين من جوامع كلمه ﷺ، وهو نتيجة حياة طويلة بُنِيَتْ عليها هذه المحبة وتلك الكراهية ، فمن أطاع اللّه وأطاع رسوله وعبد اللّه بما شرعه وعرف أسماءه وصفاته تعلّق به وبلقائه، وإذا عصاه وعصى رسوله وجهل أسماءه وصفاته وأفعاله جَهِل قدره وكره لقاءه .

---

(١) رواه مالك (٥٦٩) عن أبي هريرة، ورواه أيضاً البخاري (٦٥٠٨) ومسلم (٢٦٨٦) نحوه عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري، وهو فيهما أيضاً من حديث عائشة وغيرهما.

صفة مقلب القلوب

● ذكر مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا ومُقَلِّب القلوب» (1)

التعليق:

هكذا كان سيد الأولين والآخرين يُقْسِم أحياناً باسمه وأحياناً بصفاته على حسب ما يقتضيه الحال، ومن أعظم صفاته تبارك وتعالى هذه الصفة التي كان يستغيث بها في سجوده، ويقول: «**يا مقلب القلوب ثَبِّت قلبي على دينك**» (2). وهنا يُقْسِم بها، والمقسِم له يدري ما معنى المقسَم به، فيصدّق بذلك، ويمتلئ قلبه عظمةً وإيماناً، وتأخذه الدهشة والرعدة والخوف من جلال الله، حيث إنَّ هذا ليس لغيره، ولا يجوز أَنْ يُوصف بهذه الصفة غيره، فهو الذي يَحُولُ بين المرء وقلبه، وهو الذي يُقلِّب القلوب، فيا مقلِّب القلوب علِّمنا أسماءك وصفاتك، واهدنا بها، واجعلها قُرةً لأعيننا، ودواءً لقلوبنا، وأزلْ بها عنا مرض الشرك والشك والريب والتعطيل، ولا تجعل لنا نصيباً في الفرقة المنحرفة عن منهاج أهل السنة والجماعة، وارضَ اللهم عن إمامنا مالك الذي ربطنا بميراث نبيك، وجعل موطأه منبعاً لأسمائك وصفاتك.

---

(1) رواه مالك (١٠٣٢) معضلاً، ورواه البخاري (٦٦١٧) وغيره موصولاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(2) صحيح. رواه الترمذي (٣٥٢٢) وأحمد (٦/٣٠٢، ٣١٥) وغيرهما عن أم سلمة رضي الله عنها، وذكره شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠١) ولكن ليس فيه أن هذا الدعاء كان في السجود.

ما جاء في التعوذ بكلمات اللّه

● روى مالك عن يحيى بن سعيد قال: بلغنى أَنّ خالد بن الوليد قال لرسول اللّه ﷺ : إني أُروَّع في منامي ، فقال له رسول اللّه ﷺ : «**قل أعوذ بكلمات اللّه التامة من غضبه وعقابه وشرّ عباده، ومن همزات الشياطين وأنْ يحضرون**» [١] .

التعليق :

في هذا الحديث إثبات صفة الكلام للّه تعالى، لأنَّه لو لم يكن الكلام من صفاته ما جاز الاستعاذة به، لأن المعلوم عند علماء السَّلف أنَّه لا يجوز الاستعانة إلا باللّه أو صفة من صفاته ، فلهذا ومثله قام علماء السّلف رضي اللّه عنهم في وجه الجهمية الّذين شاغبوا لكل شبهة باطلة، فزعموا أن كلام اللّه مخلوق، وبالتالي لو سلّم لهم السلف هذه الدعوة الباطلة لكانت كل صفاته مخلوقة، ومن كانت صفاته مخلوقة فهو مخلوق حتماً وبالتالي فلا إله ولا معبود، وهكذا تؤدي هذه المناهج الضالة إلى الكفر لا محالة، وهذه الصفة العظيمة قد أكثر اللّه في تمجيدها وذكرها، وقد أكثر الرسول ﷺ التعلق بها والاستعاذة بها، كما في هذا الحديث وأمثاله، بل هي من رُقى الأنبياء قبل نبينا ﷺ، فرضي اللّه عن الإمام مالك حيث أوقفنا على هذه الصفة الكريمة وَشَرَّف موطأه

---

(١) رواه مالك (١٧٢٨) وفيه انقطاع، ورواه أحمد (٥٦/٤) (٥/٦) وابن السني (٦٣٨، ٧٤٨) عن الوليد بن الوليد، ووقع في بعض الروايات خالد بن الوليد، وإسناده منقطع، لكن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو، رواه أبو داود (٣٨٨٧) والترمذي (٣٥٢٨) وأحمد (١٨٠/٢) وغيرهم فهو حسن كما أشار إلى ذلك شيخنا الألباني في الأحاديث الصحيحة (٢٦٤) والله أعلم.

بذكرها، فماذا يقول الجويني وأتباعه في إنكار أنّ الموطأ ليس فيه من أحاديث الصفات شيء.

ويستفاد من الحديث أيضاً صفة الغضب، وقد تقدم الكلام عليها .

وقد روى مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رجلاً من أسلم قال : ما نمتُ هذه الليلة، فقال له رسول اللّه ﷺ : «من أي شيء» فقال: لدغتني عقرب، فقال رسول اللّه ﷺ : «**أما إنك لو قلت حين أمسيت، أعوذ بكلمات اللّه التامات من شرِّ ما خلق، لم تضرك**» (١) .

وروى مالك أيضاً عن سُمَيّ مولى أبي بكر عن القعقاع بن حكيم، أن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهودُ حماراً، فقيل له : وما هن، فقال : «**أعوذ بوجه اللّه العظيم الذي ليس شيء أعظم منه، وبكلمات اللّه التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، وبأسماء اللّه الحسنى كلها ما علمتُ منها وما لم أعلم، من شرِّ ما خلق وبَرَأَ وذَرَأَ**» (٢).

صفة الوجه

• روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال : أُسْرِيَ برسول اللّه ﷺ، فرأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من نار، كلما التفت رسول اللّه ﷺ رآه، فقال له جبريل: «**أفلا أعلِّمك كلمات تقولهن، إذا قلتهن طُفِئَت شعلته وخرّ لِفِيه**، فقال رسول اللّه ﷺ : بلى فقال جبريل: **فقل أعوذ بوجه اللّه الكريم وبكلمات اللّه التامات اللاتي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء، وشر ما يعرج فيها، وشر ما ذرأ في الأرض، وشر ما يخرج منها**

---

(١) رواه مالك (١٧٣٠) ومسلم (٢٧٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك (١٧٣١).

ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن» (١) .

التعليق :

هذا الحديث مرسل من جهة إسناده، والذي يهمنا أن مالكاً قد اقتنع به، قد أدخله في موطئه للاحتجاج به، والغرض منه إثبات صفة الوجه، وهي من أعظم الصفات التي دفعها الجهمية بشبههم الباطلة، وقد تكرر ذكرها في كتاب اللّه وعلى لسان رسول اللّه ﷺ وأثبتها علماء السلف، كما أثبتها الإمام مالك تبعاً لهم رضي اللّه عن الجميع، والجهمية يفسِّرونها بالذات ويتهمون اللّه ونبيه بالعِيّ وعدم الفصاحة، لأنه لم يستطع أن يقول : أعوذ بذات اللّه الكريمة، وقال: «**أعوذ بوجه اللّه الكريم**»، فجاء بالصفة المضافة إلى موصوفها، وأكدّ ذلك بالنعت ، فلا أدري هل بعد هذا البيان من بيان، وهل بعد هذه البلاغة من بلاغة، فقبَّح اللّه بلاغة تُعلِّمنا دفع الأسماء والصفات بأنواع من المجازات، التي أكثرها من المغالطات والمهاترات فليتنبه الشباب إلى حيل الجهمية من معتزلة وأشاعرة ، فإنها كثيرة متنوعة، فتارة باسم المجاز، وتارة باسم الاستعارة، وتارة باسم الكناية وكل حالة لها جلبابها من الكذب والزور والبهتان، نسأل اللّه السلامة والعافية وفي الحديث إثبات صفة الكلام، وقد تقدمت فيما مضى .

---

(١) رواه مالك (١٧٢٩) معضلاً أو مرسلاً ، لكن له شواهد منها، حديث خالد بن الوليد عند الطبراني في الأوسط، ومن حديثه أيضاً عند الطبراني في الكبير ومن حديث ابن مسعود عند الطبراني في الصغير وفي أسانيدها كلها ضعف كما في مجمع الزوائد (١٠/١٢٦ ـ ٢٨) ورواه أحمد (٣/٤١٨) عن عبد الرحمن بن حنيش وسنده حسن.

صفـــة الكـــف

● روى مالك عن يحيى بن سعيد عن أبي الحباب سعيد بن يسار، أَنّ رسول اللّه ﷺ قال : «مَنْ تَصدَّقَ بصدقةٍ مِنْ كسبٍ طيِّبٍ - ولا يقبل اللّه إلا طيباً - كان إِنَّما يَضَعُها في كف الرحمن، يُربيها كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّه أو فَصيله، حتى تكون مثل الجبل» (١).

التعليق :

هذا الحديث رواه مالك بطريق مرسل، وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وإثبات صفة الكفّ للّه تعالى ظاهرة في الحديث، فلا نعدل بها إلى تحريف وتعطيل الجهمية الذين نصبوا أنفسهم حرباً على أسماء اللّه وصفاته، فهل الإمام مالك عدل عن هذه الصفة ولم يروها، أو رواها وحرّفها، أو أثبتها بروايته وأيدّها بإقراره مما في الموطأ ليس إلاِ الأخير وأمّا الأول فليس منهاجه ومستواه ذلك .

صفة العلو

● روى مالك عن هلال بن أسامة عن عطـــاء بن يسار عن عُمَرَ بن الحَكَم أنه قال: أتيت رسول اللّه ﷺ فقلت : يارســول اللّه، إنّ جـــارية لي كانت ترعى غنماً لي فجئتها وقد فُقِــدت شـــاة من الغنــــم، فسـألتها عنها، فـقالت : أكلها الذئب، فأسِفْت عليها، وكـــنت من بني آدم، فلطـمت وجـــهها، وعليَّ رقبة، أفأعتـــقها؟ فقال لها رسول اللّه ﷺ: «أين اللّه؟» فقالت في السماء فقال: «من أنا؟» فقالت: أنت رسول

---

(١) رواه مالك (١٨٢٧) مرسلاً، ورواه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الله، فقال رسول الله ﷺ : «أعتقها»[1].

التعليق:

هذا الحديث وغيره مما جاء في الكتاب والسنة في إثبات صفة العلو للواحد القهار، وقد دفعها الجهمية بما لا معنى له، وقد ألّف فيها علماء كبار، وجمعوا ما ورد في ذلك من نصوص الكتاب والسنة، وفي مقدمتهم الإمام العلامة ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الجهمية والمعطلة» وقد نظم أدلة العلو في نونيته العظيمة التى ما أُلِّف مثلها في عقيدة الفرقة الناجية، وألَّف في ذلك الإمام الذهبي كتابه العظيم «العلو للعلي الغفار» وألّف علماء قبلهم مثل المقدسي وغيره، ووضوح هذه الصفة من أدلة الكتاب والسنة والفطرة والعقل لا وضوح بعده إلا الضلال والحيرة والشك.

فلماذا أدخل الإمام مالك هذه الصفة في موطئه، وابن الجويني والرازي وأضرابهم من الجهمية وذيولهم أوقفوا حياتهم على دفعها وردّها، وهل الإمام مالك كان يجهل هذه الصفة وأدخل عليه الرواة من الألفاظ ما يجعله مجسِّماً، أو علم باضطراب الحديث وضعفه، وأدخل في موطئه الذي تركه للأمة حجة بعده، كل ذلك لم يكن، فالحديث صحيح عن مالك وأئمة الحديث قبله وبعده، وهو من أئمة العقيدة والفقه، يعرف كل كلمة ومدلولها، ويعرف كل جملة وسياقها، فلينادِ الجهمية على أنفسهم بالويل والثبور، فإن أئمة السلف رضي الله عنهم شوكة في حلوقهم،

---

(١) رواه مالك (١٤٦٤) ومسلم (٥٣٧) وأبو داود (٩٣٠) وغيرهم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، ووقع في الموطأ عمر بن الحكم ، قال ابن عبد البر: هو معاوية بن الحكم، فليس في الصحابة عمر بن الحكم.

وسيبقى تلامذتهم من بعدهم واثقين بهذه الرسالة المباركة ذابّين مدافعين عن سنة رسول اللّه ﷺ جملةً وتفصيلاً، وهذا وعد من اللّه على لسان رسوله ﷺ **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر اللّه»** (١) واللّه المستعان .

صفة الضَّحِك

◉ روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ قال : **«يضحك اللّه عز وجل إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل اللّه فَيُقتل، ثم يتوب اللّه على القاتل، فيُقاتِل فيُستشهد»** (٢) .

التعليق :

هذه الصفة مما تواتر النقل بها إلى رسول اللّه ﷺ، وهي صفة تليق بكمال اللّه وعظمته، لا يُتوهم فيها تشبيه ولا تكييف ما للمخلوق ، فسبحان مَنْ تنزّه عن الكيفية والشبه بخلْقه .

صفة العِزَّة

◉ روى مالك عن يزيد بن خصيفة، أَنّ عمرو بن عبد اللّه بن كعب السلمي أخبره، أن نافع بن جُبير أخبره عن عثمان بن أبي العاص، أنَّه أتى رسول اللّه ﷺ، قال عثمان : وبي وجع قد كان يُهلكني، قال: فقال

(١) رواه مسلم (١٩٢٠) وابن ماجه (٦) عن ثوبان رضي الله عنه، ورواه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٩٢١) عن المغيرة بن شعبة بنحوه.

(٢) رواه مالك (٩٩١) والبخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول اللّه ﷺ : «**امسحْهُ بيمينك سبع مرات، وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد**» قال: فقلت ذلك، فأذهب اللّه ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم (١) .

التعليق :

هذه الصفة قد تكرر ذكرها في كتاب اللّه في عشرات الآيات، وتكرر ذكرها على لسان رسول اللّه ﷺ، وبوّب عليها الإمام البخاري رحمه اللّه في صحيحه في الكتاب الذي عقده للرد على الجهمية، والإمام مالك من السلف الصالح الذين أثبتوها وذكروها في مؤلفاتهم، فليصرخ الجهمية ولينادوا على أنفسهم بالجهل، حيث زعموا أنَّ مالكاً والشافعي والثوري وأمثالهم لم يذكروا أحاديث الصفات، فهل ترك الإمام مالك صفة من الصفات، فمن قارن ما ذكرته في هذا البحث القيم يجده أكثر مما ذكره ابن خزيمة في توحيده والآجري في شريعته وغيرهم ممن أغضب الجهمية، وعلى رأسهم الجويني وأتباعه ومحبوه .

صفة النظر

◎ روى مالك في موطئه عن عبد اللّه بن دينار عن عبداللّه بن عمر، أَنّ رسول اللّه ﷺ قال: «**الذي يجرُّ ثوبه خيلاء لا ينظر اللّه إليه يوم القيامة**»(٢).

وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ

---

(١) رواه مالك (١٧٠٩) ومسلم (٢٢٠٢) وأبو داود (٣٨٩١) وغيرهم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك (١٦٥٣) والبخاري (٥٧٩١) ومسلم (٢٠٨٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال: «**لا ينظر اللّه تبارك وتعالى يوم القيامة إلى من يجرُّ إزاره بطراً**» (١)

وروى عن نافع وعبد اللّه بن دينار وزيد بن أسلم كلهم يخبره عن عبداللّه بن عمر أن رسول اللّه ﷺ قال : «**لا ينظر اللّه يوم القيامة إلى من يجر ثوبه خيلاء**» (٢)

وروى عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنَّه قال : سألت أبا سعيد الخدريّ عن الإزار، فقال : ألا أخبرك بعلمٍ، سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «**أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لا جناحَ عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما أسفل من ذلك ففي النار ما أسفل من ذلك ففي النار، لا ينظر اللّه يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً**» (٣)

* * *

---

(١) رواه مالك (١٦٥٤) والبخاري (٥٧٨٨) ومسلم (٢٠٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه..

(٢) رواه مالك (١٦٥٥) والبخاري (٥٧٨٣) ومسلم (٢٠٨٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح. رواه مالك (١٦٥٦) وأبو داود (٤٠٩٣) وابن ماجه (٣٥٧٣) وذكره شيخنا في صحيح الجامع (٩٢١) وأما قوله: «ما أسفل من ذلك ففي النار» فهو في البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

موقف الإمام مالك من المشبهة

ظاهرة التشبيه قديمة، ظهرت مناقضة لظاهرة التعطيل في أسماء اللّه وصفاته، وأكثر الفرق التي اتصفت بها فرق الشيعة الأوائل قبل أن يكونوا معتزلة، فردّ السلف هذه الظاهرة الخبيثة، ولعلها تفرّعت من الحلول الصوفيّ الذي نشره دعاة الضلال، لهذا جاء كثيراً على لسان السلف: مَنْ شبَّهَ اللّهَ بخَلْقه فقد عَبَدَ صنماً، ومَنْ عطَّل اللّه عن صفاته وأسمائه فقد عَبَد عدماً، وكان الإمام مالك رضي اللّه عنه ممن شارك في مواجهة هذه الطائفة الضالة .

ذكر ابن عبد البر في التمهيد فقال: «روى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبداللّه بن وهب يقول : سمعت مالكاً بن أنس يقول: من وصف شيئاً من ذات اللّه، مثل قوله: ﴿وقالتِ اليهودُ يدُ الله مغلولةٌ﴾ [1] وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله : ﴿وهو السميع البصير﴾ فأشار إلى عينيه أو أذنه أو شيئاً من بدنه، قُطع ذلك منه، لأنّه شبّه اللّه بنفسه، ثم قال مالك: أما سمعتَ قوْل البراء حين حدّث عن النبي ﷺ قال: «لا يُضحَّى بأربع من الضحايا» وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ بيده، قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول اللّه ﷺ [2] فكَرِه البراء أن يصف رسول اللّه ﷺ

---

(١) المائدة: الآية ٦٤.

(٢) رواه مالك (١٠٣٥) وأبو داود (٢٨٠٢) والترمذي (١٤٩٧) والنسائي (٤٣٨١) والدرامي (١٩٤٩) وابن ماجه (٢١٤٤) وغيرهم عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وسنده صحيح، وذكره شيخنا الألباني في صحيح أبي داود (٢٤٣١).

إجلالاً له، وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء ؟.

قال أبو عمر: أخبرنا عبد اللّه بن محمد بن بكر حدثنا أبو داود حدثنا هارون بن معروف حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة قال: رسول اللّه ﷺ: **«لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا: خَلَق اللّه الخلق فمَنْ خَلَقَ اللّه؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت باللّه»**(١).

وقال: «وأخبرنا عبد اللّه، حدثنا محمد ، حدثنا أبو داود، حدثنا محمد ابن عمرو، حدثنا سلمة بن الفضل، حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني عتبة بن مسلم مولى بني تميم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، سمعت رسول اللّه ﷺ فذكر نحوه، قال: **«فإذا قالوا ذلك فقولوا: اللّه أحد، اللّه الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ثم ليتْفُل عن يساره ثلاثاً، ويستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم»** (٢) (*) .

موقفه من بدعة الإرجاء

لقد ساق الإمام مالك رحمه اللّه في كتابه الموطأ من الأحاديث التي تردّ على المرجئة، الدافعين لمذهب السلف، والقائلين: بأَنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن العمل ليس جزءاً من الإيمان، وموطأه هذا ما ألّفه إلا للردِّ على أهل البدع والأهواء.

---

(١) رواه مسلم (١٣٤) وأبو داود (٤٧٢١) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ومعناه في البخاري (٣٢٧٦) عن أبي هريرة أيضاً. (*) التمهيد (١٤٥/٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢١) والنسائي (١٠٤٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، انظر صحيح أبي داود (٣٩٥٢).

(*) التمهيد (١٤٦/٧).

● ومنها مارواه مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمرعن أبيه، أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه، فإن الحياء من الإيمان**»[1].

التعليق :

فهذا الحديث صريح في أن العمل جزء من الإيمان، وهذا مذهب السلف الصالح قاطبة، وهو مذهب الإمام مالك، كما هو واضح من سياقه للحديث في موطئه، وقد أخرج ابن بطة في الإبانة بالسند إلى سلمة بن شبيب. «حدثنا عبد الرازق ، سمعت سفيان وابن جريج ومالكاً كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» [2].

● وقد جاء في تفسير القرطبي: «وروى ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم وأشهب عن مالك في قوله تعالى: ﴿وما كان اللّهُ لِيُضِيعَ إيمانَكمْ﴾[3] قال : صلاتكم» [4] .

التعليق :

فهذه النصوص صريحة عن الإمام مالك، في ردِّه على المرجئة ودفع مذهبهم الفاسد، الذي لازمه القعود عن العمل، واستواء أبي بكر وعمر بأفجر الناس، وهذا المذهب الخبيث قد انتشر في كثير من الفئات والطبقات، وتترّس به كل قعيد عن العمل متكاسل فاسق فاجر، تارك للصلاة، شراب للخمر، هاتك للأعراض، كل هؤلاء يقولون: الإيمان في

---

(١) رواه مالك (١٦٣٦) والبخاري (٢٤) ومسلم (٣٦) وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) (ص ٧٠٠) .

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٤) (١٥٨/٢) .

القلب، والعمل إنما هو مجرد ثمرة الإيمان، وما تضرّ المعصية إذا كان الإيمان ثابتاً في القلب، وهكذا جرّأ هذا المذهب الخبيث كلَ فاسق وفاجر مُضَيِّعاً للفرائض والواجبات، وفي شباب أهل السنة الكفاية في بيان فساد هذا المذهب، واستعانتهم بنصوص هؤلاء الأئمة الفحول .

* * *

موقف الإمام مالك من بدعة القدر

لقد ساق الإمام مالك رحمه اللّه في موطئه من الأحاديث، ما فيه الكفاية للردِّ على هذه الفرقة الضالة المشاغبة، التي مرّت على المسلمين بسببها محنٌ لا يعلمها إلا اللّه، وماتزال ذيولها وأخطارها منتشرة في كتب المسلمين ومؤلفاتهم، وفي أذهانهم وصفاتهم، وقد بيّنتُ ذلك بحمد اللّه في قسم التحديات من هذا المؤلَّف المبارك، وسنبدأ في هذا الموقف بنقل أقوال الإمام مالك ومواقفه، ثم نُثنِّي بنقل الأحاديث من كتابه الموطأ.

* جاء في الاعتصام: «فمثل ما لايقدر على ردّه، ما حكى الباجي قال: قال مالك: لا تُمكِّن زائغ القلب من أذنك، فإنك لا تدري ما يعلقك من ذلك.

ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئاً من بعض أهل القدر، فعلق قلبه فكان يأتي إخوانه الذين يستنصحهم ، فإذا نهوه قال: فكيف بما علق قلبي، لو علمت أن اللّه يرضى أن ألقي نفسي من فوق هذه المنارة فعلت .

ثم حكى أيضاً عن مالك أنه قال: «﴿لاتَجِدُ قوماً يؤمنونَ باللّهِ واليومِ الآخرِ يُوَادُّونَ مَنْ حادَّ اللّهَ ورسولَهُ﴾ (١) فلا توادوهم» (٢) .

التعليق :

ما في هذا النص من الحِكَم في مفارقة البدع والمبتدعة عامة والقدرية

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/١٣١) .

خاصة، مفارقة جسدية، وإبعاد الجوارح عن مشاهدتهم وعن السماع لأقوالهم، وأنهم ممن يحادون اللّه ورسوله، وأنّ الذي تسرب إليه شيء من بدعهم يرى أن إلقاء نفسه من أعلى المنارات إن كان كفارة له فعل، فكيف بحالنا نحن الذين نعايش المبتدعة ونستحسن بدِعَهم ونقرُّهم عليها ونؤيدهم، ونشاركهم ونفرح بهم، ولقاؤنا معهم ودخولهم إلى بيوتنا نعتبره تشريفاً، ونجمعهم من حين إلى آخر قصد الصلة والمزاورة والدعاء ، فأين هذا من مذهب الإمام مالك وما يُروى عنه ودعوته إلى مفارقة المبتدعة، وأنهم زائغون مفارقون للكتاب والسنة، محادون للّه ورسوله، واللّه المستعان .

● جاء في أصول الاعتقاد: «قال عبداللّه بن أحمد عن أبيه أحمد بن حنبل، أنه قال : كان ثور بن يزيد الكلاعي كان يرى القدر، وكان مَن أهل حمص، أخرجوه ونفوه، لأنه كان يرى القدر .

قال: وبلغني أنّه أتى المدينة فقيل لمالك: قد قدم ثور، فقال: لا تأتوه، فقال : لا يُجتمع عند رجل مبتدع في مسجد رسول اللّه ﷺ»[1] .

التعليق :

اللّه أكبر ، انظر إلى هذا الوعي الذي كانت عليه أمة محمد ﷺ في قرُونها السابقة، تتفق بلدة بأكملها على طرد مبتدع ونفيه من بلادها خوف أن يُسرِّب بدعته إلى المسلمين، وأَنْ يبليهم بها ويشق لنفسه طريقاً يجمع عليه جماعة من المبتدعة، وهذه هي الأمة الواعية التي تعتني بعقيدتها وسنتها وكتابها، أما الأمة الغافلة الساهية السائمة السارحة

(١) أصول الاعتقاد ص:٧٢٤.

التي تقام فيها الشيوعية والبعثية والباطنية والزنادقة على اختلاف أنواعهم ومذاهبهم وتصوراتهم، وتعطي حق المشروعية وتفتح المراكز في كل جهة وناحية، أمة لا خير فيها، لا غيرة لها على دينها، بل هي كالأنعام، بل أضل.

وأما الإمام مالك فحذّر أمة محمد ﷺ من أن يجتمعوا على مبتدع في مسجد النبي ﷺ، ولو أدرك الإمام مالك زماننا هذا، ورأى جميع أنواع البدع والمبتدعة تجتمع في مدينة رسول اللّه ﷺ وفي مسجده الشريف وفي مكة المكرمة، ما أدري ماذا سيقول، وأما بقية المساجد في العالم الإسلامي فلا تسأل عن البدع فيها والمبتدعة إلا من شاء اللّه، وقليل ما هم وثور بن يزيد كان من كبار المحدثين، وله روايات كثيرات، ومع ذلك لم تشفع له ولم يقبل بسبب بدعته في القدر، وأما أهل هذا الزمان فلا رواية ولا حديث ولا فقه ولا علم، وإنما هو الحيل والدجل والتأكل بدين اللّه لا غير ذلك .

● وجاء في السنة لابن أبي عاصم: «قال : حدثنا سلمة، حدثنا مروان ابن محمد قال: سمعت مالكاً بن أنس، يسأل عن تزويج القدري، فقرأ ﴿وَلَعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ مِّنْ مشركٍ﴾ (١) » (٢).

التعليق :

هذا حُكْم الإمام مالك على القدري، وأنه لا يُـزوَّج ، وأَنَّ مكـانته مكانة الشـرك، فلذا لا ينبغي للمسـلم أَنْ يدفع بابنـته أو قـريبـته إلـى مبتدع يلطخها ببدعته وينجسها بعقيدته الباطلة، فمفارقة المبتدعة

(١) البقرة الآية : ٢٢١.
(٢) (٨٨/١) .

عند الإمام مالك في كل شيء .

• وجاء في أصول الاعتقاد: «قال لي عمر بن عبدالعزيز : ما تقول في القدرية قال : قلت أرى أن نستتيبهم، فإن تابوا وإلا عرضْتهم على السيف، قال عمر : ذلك رأيي، قال أبو مسهر: قلت لمالك يا أبا عبد اللّه وهو رأيك قال: نعم». (١)

التعليق :

هكذا يوافق الإمام مالك، ويؤكِّد حكم عالمين إمامين قبله في استتابة القدرية، فإن تابوا وإلا عُرِضوا على السيف، وهذه الطريقة المحمودة وهذا الْحُكم النابع من الكتَاب والسنة، هو طريق يحافظ به على كيان الإسلام وأصوله، ويحمي من كل كلب مسعور يُريد أَنْ يفترسه، وما أكثرهم في السابق واللاحق، فحماية دين اللّه أصوله وفروعه فرض على أئمة المسلمين وعامتهم، فلا تديُّن إلا بالكتاب والسنة، ولا حكم إلا للكتاب والسنة ، فماذا سيقول الإمام مالك لو أدرك هذا الزمان الذي أبعد فيه الكتاب والسنة عن ساحة الْحُكم، واستُبدلت به قوانين وضعية كافرة لا يد لمسلم في وضعها، ومخالفتها للمعلوم من الدين بالضرورة عند المسلمين أمر واضح، فأبو سهل وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس كان حكم اللّه في عهدهم قائماً، وشريعته هي منهاج القضاة والحكام، ومع ذلك أصدروا هذا الحكم الذي فيه إزهاق الأرواح، وإراقة الدماء، وهذا لا يكون إلا بنص قائم صريح، ولكن لَمِا لهؤلاء من خطر على دين اللّه وعلى عقيدة المسلمين في ذلك الوقت، فلو تركوهم لعاثوا

(١) (٦٨٥/٢). والموطأ (١٦٢٢) .

في الأرض فساداً ، فمن حسن حظ تلك الأمة أن هيأ اللّه لها أمثال هؤلاء العلماء الذين وقفوا مثل هذه الوقفات، وأقاموا للعقيدة السلفية أعلامها، وحاربوا كل بدعة أرادت أن ترفع رأسها، ﴿أولئك الذين هدى الله فبِهُداهُمْ اقتده﴾(١).

ونرجع إلى سياق الأحاديث التي وردت في الموطأ في الرد على القدرية ، قال مالك : كتاب القدر. باب النهي عن القول بالقدر:

عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ قال: «تحاج آدم وموسى، فحج آدم موسى، قال له موسى : أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاه اللّه علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته قال: نعم قال: أفتلومني على أمر قد قُدِّر عليَّ قبل أن أُخْلَق»(٢).

وروى عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب، أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني، أَنَّ عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية ﴿وإذْ أخَذَ ربُّكَ من بني آدَم منْ ظُهُورهم ذُرِّيَتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسهِمْ ألَسْتُ بَرِبِّكُمْ قَالوا بَلى شهدنا أنْ تَقولوُا يومَ القيامة إنَّا كُنَّا عن هذا غَافلين﴾ (٣). فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول اللّه ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول اللّه ﷺ : «إن اللّه تبارك وتعالى خلق آدم ثُمَّ مسح ظهره بيمينه، حتى استخرج منه ذُرِّيَّة ، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثُمَّ مسح ظهره فاستخرج منه ذُرِّيَّة فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون» فقال رجل : يارسول اللّه

---

(١) الأنعام : الآية ٩٠ .

(٢) رواه مالك (١٦١٧) والبخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

ففيم العمل، قال : فقال رسول اللّه ﷺ: **«إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربُّه الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربُّه النار»** (١)، وقال مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس اليمانّي، أنه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول اللّه ﷺ يقولون: كل شيء بقدر ، قال طاووس: وسمعت عبداللّه بن عمر يقول : قال رسول اللّه ﷺ **«حتى العَجْز والكَيْس أو الكيس والعجز»** (٢).

وروى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ قال: **«لا تسأل المرأة طلاق أختها(*) لتستفرغ صحفتها ولتنكح، فإنَّما لها ما قُدِّر لها»** (٣) .

وروى مالك عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظيِّ قال: قال معاوية ابن أبي سفيان وهو على المنبر: أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى اللّه، ولا مُعطيَ لما منع اللّه، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ثم قال معاوية: سمعت هؤلاء الكلمات من رسول اللّه ﷺ على هذه الأعواد (٤) .

---

(١) رواه مالك (١٦١٨) وأبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥) وأحمد (٤٤/١) وغيرهم عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وقال شيخنا الألباني في تخريج الطحاوية (٢٢٠) : صحيح لغيره إلا مسح الظهر فلم أجد لها شاهداً.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٥) وأحمد (١١٠/٢) .

(*) المقصود هنا: ضرتها، ولتستفرغ صحفتها: أي لتنفرد بنفقة الزوج .

(٣) رواه مالك (١٦٢٣) والبخاري (٦٦٠٠ ـ ٦٦٠١) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه مالك (١٦٢٤) عن معاوية رضي الله عنه، ورواه البخاري (٨٤٤) ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ما خلا قوله : **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»** فقد رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رضي اللّه عنه .

وعن مالك ، أنه بلغه أنَّه كان يقال : الحمد للّه الذي خلق كل شيء كما ينبغي، الذي لا يعجل شيء أَنَاهُ و قدَّره، حسبي اللّه وكفى، سمع اللّه لمن دعا، ليس وراء اللّه مرمى [1] .

وعن مالك أنه بلغه أنه كان يقال : «إن أحداً لن يموت حتى يستكمل رزقه، فاجملوا في الطلب» [2] .

كل هذه الأحاديث من كتاب القدر .

وهكذا يسوق الإمام مالك هذه الأحاديث، وكل حديث منها يحتاج إلى وقفة طويلة، وقد تكفّل أبو عمر بن عبد البر بشرحها، والذي يهمُّنا أن مالكاً يدفع بدعة القدرية في كتابه الموطأ ، ويعقد لها كتاباً خاصاً مبوباً بأبواب عديدة والحمد للّه رب العالمين .

* * *

---

(١) رواه مالك (١٦٢٥) بلاغاً.

(٢) رواه مالك (١٦٢٦) بلاغاً ورواه الحاكم (٤/٢) والبغوي في شرح السنة (١٤/٣٠٣ ـ ٣٠٤) عن ابن مسعود رضي اللّه عنه، وأبو نعيم في الحلية (١٠/٢٦ ـ ٢٧) عن أبي أمامة رضي اللّه عنه مرفوعاً، وله شواهد عدة، وذكره شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

موقف الإمام مالك من الخوارج

● قلت : أرأيت قتال الخوارج ما قول مالك فيهم، قال: قال مالك في الإباضية والحرورية وأهل الأهواء كلهم : أرى أَنْ يُستتابوا فإن تابوا وإلا قُتلوا .

قال ابن القاسم: «وقال مالك في الحرورية وما أشبههم: إنَّهم يُقتَلون إذا لم يتوبوا إذا كان الإمام عدلاً. فهذا يدلك على أَنَّهم إنْ خرجوا على إمام عدل وهم يريدون قتاله ويدعون إلى ما هم عليه، دُعُوا إلى الجماعة والسنة، فإن أبوا قُتِلُوا قال: لقد سألت مالكاً عن أهل العصبية الذين كانوا بالشام، قال مالك : أرى للإمام أن يدعوهم إلى الرجوع وإلى مناصفة الحق بينهم، فإنْ رجعوا وإلا قُتِلُوا .

قلت: أرأيت الخوارج إذا خرجوا فأصابوا الدماء والأموال ثم تابوا ورجعوا؟ قال بلغني: أن مالكاً قال : الدماء موضوعة عنهم وأمّا الأموال فإن وجدوا شيئاً عندهم بعينه أخذوه، وإلا لم يُتبعوا بشيء من ذلك وإن كانت لهم الأموال، لأنهم إنما استهلكوها على التأويل، وهذا الذي سمعت.

قلت: فما فرق بين المحاربين والخوارج في الدماء قال : لأن الخوارج خرجوا على التأويل، والمحاربين خرجوا فسقاً وخلوعاً على غير تأويل، وإنَّما وضع الله عن المحاربينَ إذا تابوا حدَّ الحرابة حق الإمام، وأنَّه لا يُوضع عنهم حقوق الناس، وإنما هؤلاء الخوارج

قاتلوا على دين يرون أنَّه صواب .

قلت : أرأيت قَتْلَى الخوارج، أيُصلى عليهم أم لا؟ قال : لا، قال لي مالك في القدرية والإباضية: لا يُصلَّى على موتاهم ولا تُتَّبع جنائزهم ولا تُعاد مرضاهم، فإذا قُتلوا فذلك أحرى ألاّ يُصلى عليهم، ثم ذكر أثراً عن ابن عباس؛ عن ابن وهب عن سفيان بن عُيينة عن عُبيد اللّه بن أبي يزيد قال: ذكرت الخوارج واجتهادهم عند ابن عباس قال: فسمعته يقول ليسوا بأشدّ اجتهاداً من اليهود والنصارى ثم هم يضلون، وذكر الأحاديث والآثار في ذمِّهم، ثُمّ قال مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك قال: سألني عمر بن عبد العزيز وأنا معه: ماذا ترى في هؤلاء القدرية، قال : قلت استَتِبهم، فإن تابوا وإلا فأعرضْهم على السيف، قال عمر : وأنا أرى ذلك، قال مالك: وأنا رأيي على ذلك» (١) .

التعليق :

وهكذا نقرأ هذه النصوص من مصادرها عن الإمام مالك الذي ترك لنا هذه القواعد وهذه الفتاوى النابعة عن خبرة بكتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ في التعامل مع الخوارج، وهم كلُّ من خرج عن منهاج أهل السنة والجماعة المقتفين لآثاره ﷺ والمتمسكين بكتاب الله غير مُفْرطين ولا مفرِّطين، فمن خرج على ذلك وابتدع في الإسلام بدعاً اعتبرها ديناً يُدعى إلى المحاورة وإلى الأخذ والردِّ وإزالة ما علق ذهنه - أو ذهنهم - من الشُبه، فَإنْ رَجَعَ أو رجعوا، وإلا عُرضُوا على السَّيف كما هو ظاهر قول مالك رحمه اللّه، وإلا اندلعت الفتن وادّعى كلُّ جاهلٍ أنَّه صاحب

(١) المدونة : (٢/٥٠) .

حق، وهذا ما حصل في هذه الأزمان، هذه جماعة التكفير والهجرة التى عمّت فتنها البلاد الإسلامية، لا تجد علماء السنة الذين يحاورونها ويردّونها إلى الصواب، وهذه جماعات كثيرات من هذا النوع تظهر من حين إلى آخر، قلَّتْ معرفتها بالدليل، وحسبت التمسك ببعض الظواهر هو الإسلام، وأعرضت عن دراسة السنة والعقيدة، وحفظ كتاب اللّه وتتبع الآثار السلفية والتراجم القيِّمة، التي سجّلها سلفنا الصالح رضوان اللّه عليهم، ياربِّ، رُدَّ أمة محمد واهدهم أقوم الطريق، وخذ بيدهم، وهَيئ لهم علماء السنة والكتاب، إنَّك سميع مجيب .

◎ وجاء في الموطأ: عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**يخرج فيكم قوم تحقِّرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرأون القرآن، ولا يُجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميَّة، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، وتنظر في القدح فلا ترى شيئاً، وتنظر في الريش فلا ترى شيئاً وتتمارى في الفوق**»[1] .

التعليق :

وهذا الحديث الذي أورده الإمام مالك في موطئه من عجيب آيات النبوة، فإن هذا الوصف الذي ذكره رسول اللّه ﷺ، ينطبق تمام الانطباق على كثير من المبتدعة، تشاهدهم كثيري الصلاة، كثيري الحج والعمرة كثيري البذل للمال، ولكن مع هذا ما عندهم من الإسلام شعرة

(١) رواه مالك (٤٧٨) والبخاري (٥٠٥٨) ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

واحدة، فسبحان من اختار نبينا ﷺ وأنطقه بالنبوة، وكما وصف اللّه تبارك وتعالى العابدين الخاشعين، ولكن لما لم يكن عندهم عقيدة صحيحة واتِّباعٌ لنبينا ﷺ فإنهم يصلون جهنم: ﴿هل أتَاكَ حديثُ الغاشيةِ * وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ * عاملةٌ ناصبةٌ * تصْلَى ناراً حاميةً﴾ (١) فالحديث ينطبق مع الآية ويسير بحذوها وهو تفسير لها، فالمبتدعة الخارجين عن أهل السنة والجماعة حظهم من الإسلام كما بين رسول اللّه ﷺ، فالميزان هو الميزان النبوي، والميزان هو الميزان السلفي وكل عبادة وعمل لا ينبني على ذلك، يرجع إلى هذا الحديث، فخلوات الصوفية وتعبداتهم بالأذكار المبتدعة والطرق المخترعة، وإحداثهم في دين اللّه ما ليس منه، فكلُّه من هذا الباب.

* * *

(١) سورة الغاشية: الآيات ١ ـ ٤ .

موقف الإمام مالك من المقلدة

تمهيد: هذه البدعة التي فرّقت شمل المسلمين، وأحدثت تصدُّعاً في وحدتهم وجعلتهم يعيشون متعادين متنابذين طيلة قرون عديدة، وأبعدتهم عن الدليل، وجعلتهم يعيشون في مسائل خيالية ما أنزل اللّه بها من سلطان وهذه البدعة المذهبية تَذرَّعَ بها السِّياسيون والحكام، وجعلوها مطية لحكمهم، وقد بيّنتُ في قسم التحديات تاريخ المذهبية ومن قام على إحداثها وتثبيتها، والذي يهمنا هنا هو بيان موقف الإمام مالك رضي اللّه عنه، فإنه تبرأ من التقليد وآل على نفسه إلاّ أَنْ يقدِّم الكتاب والسنة، وما خالف ذلك يضرب به عرض الحائط .

جاء في إيقاظ همم أولي الأبصار: «وعن ابن وهب قال : قال مالك: الحكم حكمان، حكم جاء به كتاب اللّه وحكم أحكمته السنة، قال: ومجتهد رأيه فلعله يُوفَّق، قال : ومتكاف فَطُعِنَ عليه.

وقال حاكياً عن ابن عبد البر: وأخرج بسنده إلى ابن وهب، قال : قال لي مالك: الحكم الذي يحكم بين الناس حكمان ما في كتاب اللّه أو حكمته السنة، فذلك الحكم الواجب وذلك الصواب، والحكم الذي يجتهد فيه العالم رأيه فلعله يوفق ، وثالث متكلف فما أحراه ألا يوفق .

وقال مالك : الحكمة والعلم نور يهدي به اللّه من يشاء، وليس بكثرة المسائل .

وقال في موضع آخر من ذلك الكتاب : سمعت مالكاً يقول : ليس

الفقه بكثرة المسائل ، ولكن الفقه يؤتيه اللّه من يشاء من خلقه .

وقال ابن وضاح: وسُئل سحنون أيسع العالِم أنْ يقول لا أدري فيما يدري ، فقال: أما ما فيه كتاب قائم أو سنة ثابتة فلا يسعه ذلك، وأما ما كان من هذا الرأي فإنه يسعه ذلك، فإنه لايدري أمصيب هو أم مخطئ».

قلت: هكذا وَرَّث مالك تلامذته التمسك بالسنة والكتاب والتشكك في الرأي والظن به، فما بالك بمن يترك سنة ثابتة رُويت من عدة طرق أو آيات قرآنية ثبتت عن اللّه لتقليد فلان أو علان، فلا شك أن هذا مخالف لمذهب مالك وأصحابه، فمذهب مالك وأصحابه رضي اللّه عنهم هو الاقتداء بالسنة، وما خالف ذلك فلا عبرة به، ولا ينبغي أن يُلتفت إليه .

وذكر ابن وهب في كتاب (العلم من جامعه) : «سمعت مالكاً يقول : إن العلم ليس بكثرة الرواية، ولكنه نور يجعله اللّه في القلوب ، وقال في موضع آخر من ذلك الكتاب ، وقال مالك: العلم والحكمة نور يهدي به اللّه من يشاء، وليس بكثرة المسائل» [1] وجاء في موضع آخر قال : «حدثنا شيخنا المعمر وبركتنا المدخر محمد بن محمد بن محمد سنة حدثنا محمد بن عبد اللّه الشريف عن محمد بن أركماش الحنفي أخبرنا أبو الفضل الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخي سماعاً عن أبي محمد بن أبي غالب بن عساكر عن أبي الحسن بن المقير عن أبي الفضل بن ناصر عن أبي عبداللّه محمد بن فتوح الحميدي عن الحافظ أبي عمر بن عبد البر، حدثنا عبد اللّه بن محمد بن عبد المؤمن قال: حدثنا أبو عبداللّه بن محمد ابن أحمد القاضي المالكي حدثنا موسى بن إسحاق قال: حدثنا إبراهيم

---

(١) إيقاظ همم أولي الأبصار ص ٢٤.

ابن المنذر قال: أخبرنا معن بن عيسى قال: سمعت مالكاً بن أنس يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسُّنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

قال وبه إلى أبي عمر : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا عبد الملك بن حجر قال : حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا مطرِّف قال : سمعت مالكاً يقول : قال لي ابن هرمز ، لا تمسك على شيء فيما سمعت مني من هذا الرأي، فإنما افتجرته أنا وربيعة فلا تمسك به» .

وقال سند بن عنان في شرحه على مدونة سحنون المعروفة بالأم، ما نصه: «والفقه مأخذه الكتاب والسنة والإجماع والعبرة، ولما كان الاستقلال بعلم الفروع مستنداً على أمرين لابد منهما، أحدهما معرفة مذاهب أهل العصر من أهل الفقه والعقد والحل ، والثاني معرفة أصول الفقه والتصرف فيها برد الفروع إلى الأصول، فالأول كان شرطاً ليأمن المتصرف من فرق الإجماع وينهج منهاج الاقتداء والاتباع، والثاني كان شرطاً لتحصيل العلم لأن العلم لا يحصل إلا بطريقه لأنه لا يثبت ضرورة ، إذ لو ثبت ضرورة لاستوى الكافة فيه، ومالا يثبت ضرورة فإنما يثبت نظراً، ولما كانت الشريعة مستندة إلى الرسول ﷺ وجب أن يكون النظر فيما جاء عن رسول اللّه ﷺ، والذي جاء عنه نوعان أقوال مسموعة وأحكام موضوعة، والذي نقل من الأقوال فنوعان القرآن والسنة، فوجب النظر فيهما بالاستنباط والاستخراج، وقد قال اللّه تعالى: ﴿وَلَو رَدُّوهُ إِلى الرسولِ وإلى أولي الأمرِ منهُمْ لعلمهُ الذينَ يستنبطونَهُ مِنْهُمْ﴾ (١)

(١) سورة النساء : الآية ٨٣.

وقد يوجد الوفاق من أهل الآفاق على حكم ما وإن لم يلف في كتاب اللّه ولا سنة عليه نص، فيكون الوفاق طريقاً إلى إثباته، لأننّا نعلم أَنَّ العقلاء في مجاري العبادات مختلفو الرُتَب والدرَّجات في قوة الفراغ وميل الأغراض، ويتفاوتون في سُبل النظر وتسديد الفكر، فيبعد عادة أنْ يتفق الجم والجمع الكثير في مسألة فرعية، إلاَّ أَنَّ توفيره هذا برهان القطع بحجة الإجماع .

وفي الجملة إنَّ العمل بالإجماع يرجع إلى العمل بالنص، لأنَّ الإجماع إنَّما يتضمن الحجة، ووجهه ما بيناه، أو يكون هو في نفسه حجة، فيستند إثباته إلى السمع في قوله تعالى :﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّن لهُ الهُدى وَيتّبعْ غَيْرَ سبيلِ المؤْمنينَ نُوَلّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِه جهنَمَ وساءتْ مصيراً﴾ (١). وفي قوله ﷺ : «**لا تزال هذه الأمة قائمة على الحق ظاهرين**» وفي البخاري : «**ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللّه**» إلى أن قال: أما مجرد الاقتصار على محض التقليد فلا يرضى به رجل رشيد ولسنا نقول إنه حرام على كل فرد، بل نوجب معرفة الدليل وأقاويل الرجال ، ونوجب على العام تقليد العالم.

قال معلقه: الحق الذي يجب على كل ناصح لدينه وأمته أن يهدم التقليد الأعمى من أساسه وبكل أشكاله وألوانه، وعلى كل عالم أن يبين وجه ما يفتي به في الأحكام الشرعية لمن يستفتيه، وأنْ يَذْكُر له دليل ذلك من الكتاب والسُّنة، حتى يتعودَّ الناس بجميع طبقاتهم فهم النصوص، فَإنَّ سَوْق الأحكام بدون إسنادها بأدلتها عودَّ عقول الناس الركود والجمود الديني، حتى أصبحت تراه أثقل من حمل الجبال،

(١) سورة النساء: الآية ١١٥.

مـــع أنه أيســـر اليسر» انتهى[1] .

وجاء في التمهيد لأبي عمر بن عبد البر «في ترجمة ربيعة بن أبي عبد الرحمن المدني صاحب الرأي، وكان يُذكر مع جملة التابعين في الفتوى بالمدينة، وكان مالك يفضله ويرفع به ويثني عليه في الفقه والفضل، على أنه ممن اعتزل حلقته لإغراقه في الرأي»[2].

● وجاء في السِّيَر: قال الذهبي: «ابن سعد : حدثنا محمد بن عمر سمعت مالكاً يقول : لما حجّ المنصور دعاني فدخلت عليه فحادثته وسألني فأجبته، فقال : عزمت أَنْ آمر بكتبك هذه، يعني الموطأ فتُنسخ نسخاً، ثم تُبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، وآمرهم أَنْ يعملوا بما فيها، ويَدَعُوا ما سوى ذلك من العلم المحدث، فإنِّي رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، قلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس قد سيقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووْا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنّ ردّهم عما اعتقدوه شديد ، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال : لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك»[3].

التعليق :

فرحمة الله عليك يا مالك يا إمام الأئمة ، ويا ناصح الأمة، لم تأخذك نشوة الغرور، وحاشاك من ذلك، فسطع أمامك الحجة والبيان، وعلمت أَنّ أصحاب رسول الله ﷺ تفرّقوا في الأمصار وأخذ عنهم التابعون

(١) إيقاظ همم أولي الأبصار ص٧٣.   (٢) (٣/٢) .
(٣) (٧٨/٨ ـ ٧٩) .

علومهم وأتباع التابعين وعرفت قدرك وأنك لم تحط بكل شيء علماً، وأردت أن تُبقي سنة رسول اللّه ﷺ وكتابه هما المنار، مع أنَّ كتابك الموطأ هو من هذا القبيل، لكن لبغضك لتقليد الرجال وتقديس الأشخاص القدسية التي لا تكون إلا للنصوص، منعت حاكم وقته الذي كان يحب العلم والعلماء ويوقرهم ويبجلهم، من أن يُرْغم الناس على كتابك، وهذه ستبقى من مناقبك تعرفها لك الأجيال .

فمالك رحمه اللّه يمنع التقليد ويأباه، وسيرته رضي اللّه عنه وأقواله وأفعاله كافية في معرفة موقفه في هذا الباب، وما سقناه من أقواله وأقوال بعض أصحابه، وأعرف الناس به، فيه كفاية لمن اعتبر ، فنرجو اللّه تعالى أن يلهمنا الصواب والرشد في أقوالنا وأفعالنا .

أحاديث الرؤيا في موطأ مالك

هذا الأصل صحّت به الأخبار عن النبي ﷺ، وأجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة ، ومن بينهم الإمام مالك الذي عقد له كتاباً في موطئه وساق فيه من الأحاديث ما سأذكره إن شاء اللّه، وأنكره الملاحدة وشُذّاذ المعتزلة والطبيعيون، ولا قيمة لخلاف هؤلاء مع صحّة النص به عن رسول اللّه ﷺ .

● روى مالك عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول اللّه ﷺ قال : «**الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**» (١).

---

(١) رواه مالك (١٧٣٧) والبخاري (٦٩٨٣) ومسلم (٢٢٦٤) .

التعليق :

وليس معنى هذا أن الذي يرى الرؤيا الحسنة، أَنَّ عنده جزءاً من النبوة، ولكن الشبه في صدق الرؤيا، ولا شك أَنَّ هذا في عالم الغيب، فيجب علينا أَنْ نُصدِّق بما أخبرنا به رسول اللّه ﷺ .

۞ وروى أيضاً عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة عن زُفْرَ بن صعصعة عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ : «كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول : «**هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا**» ويقول: «**ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة**» [١].

التعليق :

فهذا يدل على أن تأويل الرؤيا كان من الأمور المهمة التي كان يعتني بها رسول اللّه ﷺ، فيسأل أصحابه : «**هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا**» وهذا لا يُعْجِب هؤلاء الملاحدة الذين يردُّون من الأخبار ما صحّ عن رسول اللّه ﷺ .

۞ وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنّه قال : سمعت أبا قتادة بن ربعيٍّ يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : «**الرؤيا الصالحة من اللّه، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وليتعوذ باللّه من شرِّها، فإنَّها لن تضرَّه إن شاء اللّه**» فقال أبو سلمة : إن كنت لأرى الرؤيا هي أثقل عليَّ من الجبل ، فلما سمعت هذا الحديث ما كنت أباليها[٢] .

(١) رواه مالك (١٧٣٨) وأبو داود (٥٠١٧) وأحمد (٣٢٥/٢) وغيرهم، وصحح إسناده شيخنا الألباني في صحيح أبي داود (٤١٩٥).

(٢) رواه مالك (١٧٤٠) والبخاري (٥٧٤٧) ومسلم (٢٢٦١) وغيرهم .

التعليق :

اللّه أكبر هذه هي العقيدة التى كان يتصف بها سلفنا الصالح في ظاهرهم وباطنهم ، فما جاءهم عن اللّه أو عن الرسول ﷺ إلا وبادروا بتصديقه، واستراحوا به في يقظتهم ومنامهم، فهنيئاً لهم بهذا اليقين وبهذا التطبيق العملي لسنة رسول اللّه ﷺ، فأبو سلمة بن عبد الرحمن استراح من عناء الرؤيا بعد سماعه لهذا الحديث وروايته له، اللهم اجعلنا على منهاجهم ولا تخالف بنا عن طريقهم .

وروى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه، أَنّه كان يقول في هذه الآية: ﴿لهمُ البشرَى في الحياةِ الدّنيا وفي الآخرة﴾[1] قال : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له [2] .

وجاء في التمهيد: «وقيل لمالك رحمه اللّه، أيُعبِّر الرؤيا كلُّ أحد؟ فقال: أبالنبوَّة يُلعب! ، وقال مالك : لا يُعبِّر الرؤيا إلا من يُحْسنها، فإن رأى خيراً أخبر به، وإنْ رأى مكروهاً، فليقلْ خيراً أو ليصمت، قيل : فهل يعبِّرها على الخير وهي عنده على المكروه، لقول من قال : إنها على ما أُوِّلت عليه، فقال: لا، ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يُتلاعب بالنبوة»[3] .

* * *

(١) يونس : الآية ٦٤ .

(٢) رواه مالك (١٧٤١). وهو عند أحمد بنحوه (٣١٤/٥) عن عبادة بن الصامت والترمذي (٢٢٧٣) عن أبي الدرداء وحسّنه شيخنا الألباني بشواهده السلسلة الصحيحة (١٧٨٦).

(٣) (٢٨٨/١) .

عقيدة الإمام مالك في الملائكة

لا يشُك مُسلم في أنَّ الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الذي لا يتم إيمان المسلم إلا بها ولذا كان هذا الأصل والتصديق به معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام، وقد ذكر الإمام مالك في موطئه من أحاديث الملائكة ، فرأيت أن أنقله للقارئ، حتى يقرأ عقيدة الإمام مالك كاملة من سنة رسول اللّه ﷺ، ويعلم بأن الأئمة هدايتهم في السنة وفهمهم وعلمهم مقتبس من السنة وما خالف ذلك أمروا بطرحه والإعراض عنه .

روى مالك عن ابن شهاب، أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة يوماً، فدخل عليه عروة بن الزبير، فأخبره أنّ المغيرة بن شعبة أخّر الصلاة يوماً وهو بالكوفة، فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري، فقال: ما هذا يا مغيرة، أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلَّى فصلَّى رسول اللّه ﷺ، ثم صلَّى فصلَّى رسول اللّه ﷺ، ثم صلَّى فصلَّى رسول اللّه ﷺ، ثم صلّى فصلَّى رسول اللّه ﷺ، ثم قال: «بهذا أُمِرتُ»، فقال عمر بن عبد العزيز : اعلم ما تحدث به ياعروة، أوَ إن جبريل هو الذي أقام لرسول اللّه ﷺ وقت الصلاة، قال عروة: كذلك كان بَشيرُ بن أبي مسعود الأنصاري يحدث عن أبيه [١] .

---

(١) رواه مالك (١) والبخاري (٥٢١) ومسلم (٦١٠) وغيرهم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنّه كان يقول : **«مَنْ صلّى بأرض فلاة، صلّى عن يمينه ملَك وعن شماله ملَك، فإذا أذَّن وأقام الصلاة أو أقام صلّى وراءه من الملائكة أمثال الجبال»** (١) .

وروى مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن،أنهما أخبراه عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: **«إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا، فإنّه مَنْ وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»**(٢)

وروى مالك عن سَمِّي مولي أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمّان عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: **«مَنْ اغتسل يوم الجمعة غُسْل الجنابة ثمّ راح في الساعة الأولى فكأنما قرّبَ بدَنَةً، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومَنْ راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشاً أقرن ، ومَنْ راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجة، ومَنْ راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرّبَ بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»** (٣) .

وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : **«الملائكة تصلّي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلّى فيه ما لم يُحْدِث ، اللهم اغفر له اللهم ارحمه»** (٤) .

وروى أيضا عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه

---

(١) رواه مالك (١٥٧) عن سعيد بن المسيب موقوفاً عليه، وسنده صحيح، وقد تضمن مطلباً علمياً لا يُدرك بالرأي ولعله مما تلَقّاه الصحابة عن النبي ﷺ لكني لم أقف عليه موصولاً والمعروف عند أهل العلم أن مرسلات سعيد هي أصح المراسيل.

(٢) رواه مالك (١٩١) والبخاري (٧٨٠) ومسلم (٤١٠) وغيرهم .

(٣) رواه مالك (٢٢٣) والبخاري (٨٨١) ومسلم (٨٥٠) وغيرهم .

(٤) رواه مالك (٣٨٠) والبخاري (٦٥٩) ومسلم (٦٤٩) .

ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين فيكم فيسألهم. وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلون**»[1]

وروى مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبيد اللّه بن كُرَيْز أن رسول اللّه ﷺ قال : «**ما رُئيَ الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تَنَزُّل الرحمة وتجاوز اللّه عن الذنوب العظام ، إلا ما أُرِيَ يوم بدر**» قيل : وما رأى يوم بدر يارسول اللّه قال : «**أما إنه قد رأى جبريل يزع** (*) **الملائكة**»[2].

* * *

(١) رواه مالك (٤١١) والبخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢) .

(*) أي : يصفهم ويرتبهم للقتال .

(٢) رواه مالك (٩٥٤) عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، وقد رُوي موصولاً ولا يصح.

عقيدته في الشياطين والجن

تمهيد: الإمام مالك كغيره من أئمة السلف يؤمنون بما أخبر اللّه به وبما أخبر به رسول اللّه ﷺ من ذِكْر الشياطين والجن، وهذا أمر مُسلَّم عند الجميع، وقد أكثر القرآن وأكثرت السنة من ذكر ذلك، وقد جاء في الموطأ من الأخبار ما يدل على عقيدة الإمام مالك، وأنه لا يفارق النصوص ولا يحيد عنها .

والذين أنكروا هذه الأصول المعلومة عند المسلمين بالضرورة، ليس عندهم إلا وساوس وشُبَه كاذبة لا مستند لها لا من عقل ولا من نقل ، وإليكم بعض النماذج التى ذكرها الإمام مالك في موطئه .

روى مالك عن زيد بن أسلم أنه قال : عرَّس رسول اللّه ﷺ ليلةً بطريق مكة، ووكَّل بلالاً أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا، وقد طلعت عليهم الشمس، فاستيقظ القوم وقد فزعوا، فأمرهم رسول اللّه ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: «إنَّ هذا واد به شيطان» فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم رسول اللّه ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضؤوا، وأمر بلالاً أن ينادي بالصلاة أو يقيم - فصلى رسول اللّه ﷺ بالناس ، ثم انصرف إليهم وقد رأى من فزعهم، فقال : «يا أيها الناس إن اللّه قبض أرواحنا، ولو شاء لردَّها إلينا في حينٍ غير هذا، فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها، ثم فزع إليها فليصلّها كما

كان يصليها في وقتها» ثم الْتفت رسول اللّه ﷺ إلى أبي بكر فقال: «**إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلي، فأضجعه، فلم يزل يهدئه كما يُهدأ الصبي حتى نام**»، ثم دعا رسول اللّه ﷺ بلالاً فأخبر بلال رسول اللّه ﷺ مثل الذي أخبر رسول اللّه ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر: أشهد أنَّكَ رسول اللّه [1]. وروى أيضاً عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «**إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع النداء ، فإذا قُضِيَ النداء أقبل حتى إذا ثُوِّبَ بالصلاة أدبر حتى إذا قُضِيَ التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل إنْ يدري كم صلّى**[*]»[2]. وروى مالك عن محمد بن عمرو بن علقمة عن مليح بن عبداللّه السعدي عن أبي هريرة أنه قال: «**الذي يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام فإنما ناصيته بيد شيطان**»[3].

وروى مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «**إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلَبَسَ عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس**»[4] .

وروى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم، إذا هو نام ثلاث عقد**

---

(١) رواه مالك (٢٥) عن زيد بن أسلم مرسلاً، لكن ورد معناه في البخاري (٥٩٥) من حديث أبي قتادة، وفي مسلم(٦٨٠) (٦٨١) من حديث أبي هريرة وأبي قتادة.

(٢) رواه مالك (١٤٩) والبخاري (٦٠٨) ومسلم (٣٨٩) .

(*) أي: حتى يصلي المصلي فلا يدري كم ركعة صلى .

(٣) رواه مالك (٢٠٥) عن أبي هريرة موقوفاً، وقد رُوي مرفوعاً ولا يصحّ كما أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح (٢/٢١٥).

(٤) رواه مالك (٢٢٠) والبخاري (١٢٣٢) ومسلم (٣٨٩) .

يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة، فإن توضأ انحلّت عقدة، فإن صلّى انحلّت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» (١).

وروى مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبد اللّه بن كريز أن رسول اللّه ﷺ قال : «**ما رُئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة تجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أُري يوم بدر**» قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول اللّه، قال: «**أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة**» (٢)

بعض المعجزات في موطأ مالك

● روى مالك عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت رسول اللّه ﷺ وحانت صلاة العصر فالْتمس الناس وَضوءاً فلم يجدوه فأتى رسول اللّه ﷺ بوَضوء في إناء، فوضع رسول اللّه ﷺ يده في ذلك ، ثم أمر الناس يتوضؤون منه، قال أنس : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم (٣).

التعليق :

ومعجزة النبي ﷺ في هذا الحديث واضحة

روى مالك عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة عن أنس بن مالك

---

(١) رواه مالك (٤٢٥) والبخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦) وغيرهم.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٧٠.

(٣) رواه مالك (٦١) والبخاري (١٦٩) ومسلم (٢٢٧٩) .

قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا ذهب إلى قباء، يدخل على أُمِّ حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول اللّه ﷺ يوماً، فأطعمته، وجلست تفلّي رأسه، فنام رسول اللّه، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت، ما يضحكك يا رسول اللّه، قال: «**ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاةً في سبيل اللّه، يركبون ثُبج هذا البحر ملوكاً على الأسرّة، أو مثل الملوك على الأسرّة**» يشك إسحاق ـ قالت: فقلت، يا رسول اللّه ادع اللّه أن يجعلني منهم، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ يضحك، قالت : فقلت: يارسول اللّه ما يضحكك، قال : «**ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل اللّه ملوكاً على الأسرَّة أو مثل الملوك على الأسرِّة**» كما قال في الأولى ، قالت : فقلت: يارسول اللّه ادع اللّه أن يجعلني منهم، قال: «**أنت من الأوّلين**»، قالت: فركَبَت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت» (١) .

روى مالك عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأمِّ سُليم، لقد سمعت صوت رسول اللّه ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء، فقالت : نعم فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها ، ثم لَفت الخبز ببعضه ثم دسَّتْه تحت يدي، وردَّتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول اللّه ﷺ، قال: فذهبت به، فوجدت رسول اللّه ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول اللّه ﷺ: «**أرسلك أبو طلحة؟**»، فقلت: نعم، فقال: «**طعام**»: قلت نعم، فقال رسول اللّه ﷺ لمن معه: «**قوموا**» فانطلق،

---

(١) رواه مالك (١٠٠٢) والبخاري (٢٧٨٨) (٢٧٨٩) ومسلم (١٩١٢) .

وانطلقت بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أمّ سُلَيم. قد جاء رسول اللّه والناس وليس عندنا من الطعام ما نطعمه، فقالت : اللّه ورسوله أعلم، قال : فانطلق أبو طلحة حتى لَقيَ رسول اللّه ﷺ، فأقبل رسول اللّه ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخلا، فقال رسول اللّه ﷺ : «هلُمّي يا أمّ سُليم ما عندك؟»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به ففُتّ وعصرت عليه أُمّ سُليم عُكَّة له فأَدْمَته، ثم قال رسول اللّه : ماشاء اللّه أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال : «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال «ائذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً [١] .

رواية الإمام مالك رحمه اللّه لأحاديث الفتن

يقرر الإمام مالك رحمه اللّه عقيدته في الفتَن أعاذنا اللّه منها، وهي من الأمور العقدية، ومن الأخبار الغيبية التى تدخل في الإيمان بالغيب ، فقد روى مالك رحمه اللّه من هذا ما يدل على عقيدته السلفية ، وأنه تابع لإخوانه الذين يؤلِّفون مجامع، ويدرجون كتاب الفتن من بين تلك المجامع.

روى مالك عن عبد اللّه بن دينار عن عبد الله بن عمر أنه قال: رأيت رسول اللّه ﷺ يشير إلى المشرق ويقول: «ها إنّ الفتنة ها هنا، إنّ الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان» [٢] .

وروى أيضاً مالك بلاغاً أنَّ عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى

---

(١) رواه مالك (١٦٨١) والبخاري (٥٣٨١) ومسلم (٢٠٤٠) وغيرهم.

(٢) رواه مالك (١٧٨١) والبخاري (٣٢٧٩) وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

العراق فقال له كعب الأحبار : لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين فإن بها تسعة أعشار السحر وبها فسقة الجن وبها الداء العُضال (١) .

وروى أيضاً عن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن»** (٢) .

روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ قال: **«رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل الفدَّادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم»** (٣) .

* * *

---

(١) رواه مالك (١٧٨٢) بلاغاً.

(٢) رواه مالك (١٧٦٨) والبخاري (١٩) وغيرهما.

(٣) رواه مالك (١٧٦٧) والبخاري (٣٣٠١) ومسلم (٥٢) .

عقيدة الإمام مالك في الدّجّال

الدجال من أشراط الساعة، وتواتر النقل بخروجه، وأنكره جماعة من الذين زعموا أنهم عقلانيون، وعقولهم منكوسة لا خير فيها، إذ ردّت ما تواتر به النقل عن سيد الأولين والآخرين، وقد ذكر أبو جعفر الطحاوي وهو من أئمة أهل السنة والجماعة: «أنّ هذا الأمر من عقيدتهم، قال ما نصه : ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السّماء ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض»(١) .

روى مالك عن أبي الزبير المكي عن طاووس اليماني عن عبد اللّه بن عباس، أن رسول اللّه ﷺ كان يعلّمهم هذا الدعاء، كما يعلّمهم السورة من القرآن يقول : «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(٢) .

* * *

---

(١) العقيدة الطحاوية ص ٥٦٤ .

(٢) رواه مالك (٥٠١) ومسلم (٥٩٠) عن ابن عباس، ورواه البخاري (٨٣٢) ومسلم (٥٨٩) عن عائشة دون الجملة الأولى أيضاً ورواه مسلم (٥٨٨) عن أبي هريرة أيضاً .

عقيدة الإمام مالك في عذاب القبر *

لا شك أَنَّ الإمام مالكاً رضي اللّه عنه كان على طريقة أئمة السلف ، وعقيدتُه عقيدتَهم جملة وتفصيلاً، فعذاب القبر من جملة عقيدتهم، وقد تواترت الأخبار عن رسول اللّه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول كما ذكر شارح الطحاوية قال أبو جعفر الطحاوي رحمه اللّه في عقيدته السلفية: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربِّه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول اللّه ﷺ وعن الصحابة رضوان اللّه عليهم والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران [1]».

حتى جاءت المعتزلة الذين أحدثوا القلاقل في عقيدة الأمة الإسلامية، وأنكروا عذاب القبر ، واستحالوا وجوده بعقولهم المنكوسة، فردّ عليهم أئمة السلف بما ثبت عن اللّه وعن رسوله، وهذا إمامنا مالك يذكر في موطئه جملة من الأخبار التي تثبت ذلك .

(*) ينظر للإفادة كتاب «الحياة البرزخية في الإسلام» للدكتور حسين جابر موسى طبعة دار الفتح ١٩٩٥ .

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٤٧ .

روى مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ، «أن يهودية جاءت تسألها: قالت : أعاذك اللّه من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول اللّه ﷺ: أَيُعذَّب الناس في قبورهم، فقال رسول اللّه ﷺ عائذاً باللّه من ذلك ، ثُمّ ركب رسول اللّه ﷺ ذات غداة مركباً فخُسِفت الشمس فرجع ضحى فمرّ بين ظَهْري الحُجَر ثُمَّ قام فصلّى وقام الناس وراءه فقام قياماً طويلاً، ثُمَّ ركع ركوعاً طويلاً، ثُمَّ رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول ، ثُمَّ ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثُمَّ رفع فسجد، ثُمَّ قام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثُمَّ ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثُمَّ رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثُمَّ ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول ، ثُمَّ رفع، ثُمَّ سجد ثُمّ انصرف فقال ما شاء اللّه أن يقول ثُمّ أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر» (١) .

روى مالك عن أبي الزبير المكي عن طاووس اليماني عن ابن عباس أن رسول اللّه ﷺ كان يعلّمهم هذا الدعاء كما يعلّمهم السورة من القرآن يقول «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**» (٢) .

وروى مالك عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنّها قالت: أتيت عائشة زوج النبي ﷺ حين خَسِفَتْ الشمس، فإذا الناس قيام يصلّون، وإذا هي قائمة تصلي، فقلت : ما للناس فأشارت بيدها نحو السماء وقالت : سبحان اللّه، فقلت : آية ؟ فأشارت برأسها: أَيْ نعم، قالت: فقُمتُ حتى تجلاني الغشي، وجعلت

---

(١) رواه مالك (٤٤٦) والبخاري (١٠٤٩) (١٠٥٠) ومسلم (٩٠٣) .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٧٧ .

أصب فوق رأسي الماء، فحمد اللّه رسول اللّه ﷺ وأثنى عليه ثم قال : «ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار ولقد أوحيَ إليَّ أنَّكم تُفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال» لا أدري أيتهما قالت أسماء «يُؤتى أحدكم فيُقال: له ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن ـ لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء ـ فيقول : هو محمد رسول اللّه جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له : نَمْ صالحاً قد علمنا إن كنت لمؤمناً، وأمّا المنافق أو المرتاب» لا أدري أيتهما قالت أسماء «فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»[1] .

*   *   *

(١) رواه مالك (٤٤٧) والبخاري (١٠٥٣) ومسلم (٩٠٥) .

عقيدة الإمام مالك في الحشر والبعث

الإمام مالك كغيره من بقية السلف وعلماء الشريعة في الإقرار بالبعث والنشور وجزاء الأعمال يوم القيامة، وقد جاء في موطئه ما يدل على هذه الحقيقة التى وضّحها اللّه تبارك وتعالى في كتابه القرآن أكثر من أي كتاب سماوي، لأن الحشر والنشر مما اتفق عليه الأنبياء والرسل جميعهم.

روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «**كل ابن آدم تأكله الأرض، إلا عَجْبَ الذَّنَب**(*)**، منه خُلق، ومنه يُرَكَّب**» (١) .

* * *

(*) أي: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب .

(١) رواه مالك (٥٦٧) والبخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥) .

عقيدة الإمام مالك في الحوض

الإمام مالك يثبت الحوض الذي أكرم اللّه تعالى به نبيَّنا ﷺ، وأمته تَرِدُه إن شاء اللّه، ويُذاد عنه من يُذاد.

وقد تواترت الأحاديث الواردة في ذكره، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، وقد استقصى طرقها وألفاظها الحافظ ابن كثير في كتابه النهاية فلا مجال لإنكار الحوض، ومن أنكره حرمه اللّه تعالى من شربه.

أخرج الإمام مالك في موطئه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنَّا إنْ شاء اللّه بكم لاحقون، وَدِدت أني قد رأيتُ إخواننا**». فقالوا: يارسول اللّه ألسنا بإخوانك؟، قال: «**أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فَرَطهم على الحوض**»، فقالوا: يارسول اللّه كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟، قال: «**أرأيت لو كان لرجل خيل غُرٌ مُحَجَّلة في خيل دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله؟**»، قالوا: بلى يارسول اللّه قال: «**فإنهم يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض فليُذادنَّ رجال عن حوضي، كما يُذاد البعير الضالّ أناديهم ألا هَلُمَّ، ألا هلُمَّ، ألا هلُمَّ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول! فسحقاً فسحقاً فسحقاً**»[1].

وروى مالك عن خُبَيْب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللّه ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»[2].

---

(١) رواه مالك (٥٧) ومسلم (٢٤٩) وأحمد (٢/٣٠٠) وغيرهم.

(٢) رواه مالك (٤٦٣) والبخاري (١١٩٦) ومسلم (١٣٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عقيدته في الجنة والنار

هذه العقيدة هي التي استفاض وأفاض بذكرها القرآن، وأقام بها الحُجّة على المعاندين من أهل الشرك والإلحاد والمعصية والعناد، وبيَّن لأهل الطاعة مآلهم ودارهم، وأنَّها هي مأواهم ومسكنهم بدون انقطاع ولا تحديد بأمد، وقد ذكر أبو جعفر الطحاوي في عقيدته التى ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة ما لفظه : «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان ، فإن اللّه تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فُرغ له وصائر إلى ما خُلق له، والخير والشر مقدّران على العباد».

قال شارحه: «أمّا قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت بل ينشئهما اللّه يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعةً لما يفعله اللّه، وأنَّه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خَلْقُ الجنة قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مُدداً متطاولة، فردّوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للربِّ تعالى، وحرّفوا

النصوص عن مواضعها وضلُّوا وبدَّعوا من خالف شريعتهم، انتهى من شرح الطحاوية» (١) .

وقد شارك الإمام مالك رحمه اللّه في سياق النصوص لدفع هذه الشُبَهة الباطلة، فعقد كتاباً في موطئه لهذه المهمة وهو الكتاب السابع والخمسون من موطئه ، قال : باب ما جاء في صفة جهنم .

● وروى بسنده عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «نار بني آدم التي يُوقِدون، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، فقالوا : يارسول اللّه إنْ كانت لكافية، قال: «إنَّها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً» (٢) وروى عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة أنه قال: «أترونها حمراء كناركم هذه، لَهِيَ أسود من القار». والقار الزِّيت (٣) .

وروى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول اللّه ﷺ قال: «إنَّ شدّة الحرِّ من فَيْح جهنم، فإذا اشتد الحرُّ فأبردوا عن الصلاة» وقال: «اشتكت النار إلى ربِّها فقالت : يارب أَكَلَ بعضي بعضاً، فأذِنَ لها بنَفَسَيْنِ في كل عام نَفَسٌ في الشتاء ونَفَسٌ في الصيف» (٤) .

التعليق :

وهل في النصوص أصرح من هذا؟، وهل سَيِّد الأولين والآخرين يكذب على الناس أو يحدثهم بما لم يوجد؟، فلله العجب ما أعمى بصر

---

(١) شرح الطحاوية ص ٤٧٦.

(٢) رواه مالك (١٨٢٥) والبخاري (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣).

(٣) رواه مالك (١٨٢٦) وسنده صحيح.

(٤) رواه مالك (٢٦) عن عطاء مرسلاً ثم رواه (٢٧) موصولاً عن أبي هريرة، ورواه البخاري (٥٣٦ - ٥٣٧) ومسلم (٦١٧) .

وبصيرة هؤلاء المعتزلة والقدرية عن هذه النصوص المتواترة التي تجعل المسلم يعيش على اليقين، وكأنه يشاهد النار والجنة، ليقينه بأخبار النبي ﷺ، فرَضيَ اللّه عن الإمام مالك إذ بَيّن عقيدتنا بذكر هذه النصوص النيِّرة الواضحة .

وروى مالك عن عبد اللّه بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا عن الصلاة فإن شدَّة الحرِّ مِنْ فَيْح جهنم**» .

وذكر «**أن النار اشتكت إلى ربِّها ، فأذِنَ لها في كل عام بنَفَسيْن نَفسٌ في الشتاء ونَفسٌ في الصيف**» [١] .

وروى أيضاً عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال: «**إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا عن الصلاة فإنّ شدة الحرِّ مِن فَيْح جهنم**»[٢]

وروى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد اللّه بن عباس أَنَّه قال : خَسَفَت الشمس فصلّى رسول اللّه ﷺ والناس معه فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة: ثُمَّ ركع ركوعاً طويلاً، ثُمّ رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثُمَّ ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثُمّ سجد، ثُمّ قام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثُمّ ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثُمّ رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثُمّ ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثُمّ سجد ثُمّ انصرف، وقد تجلت الشمس فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات**

---

(١) سبق ص ١٨٥ .

(٢) رواه مالك (٢٨) والبخاري (٥٣٦) ومسلم (٦١٥) وغيرهم .

اللّه، لا يَخْسِفانِ لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا اللّه» قالوا : يارسول اللّه رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكَعْكَعْت ، فقال: **«إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قطُّ أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء»** قالوا: لِمَ يا رسول اللّه؟، قال: **«لِكُفْرِهنَّ»** قيل: أيكْفُرْنَ باللّه؟، قال: **«يكْفُرْنَ العشير ويكفرنْ الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثُمّ رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط»** [(١)] .

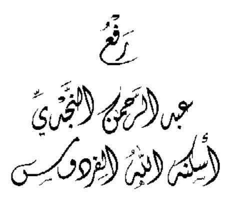
وروى مالك عن نافع أن عبد اللّه بن عمر قال: إن رسول اللّه ﷺ قال: **«إنّ أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك اللّه إلى يوم القيامة»** [(٢)]

* * *

(١) رواه مالك (٤٤٥) والبخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧) .
(٢) رواه مالك (٥٦٦) والبخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦) وغيرهم .

قائمة المراجع

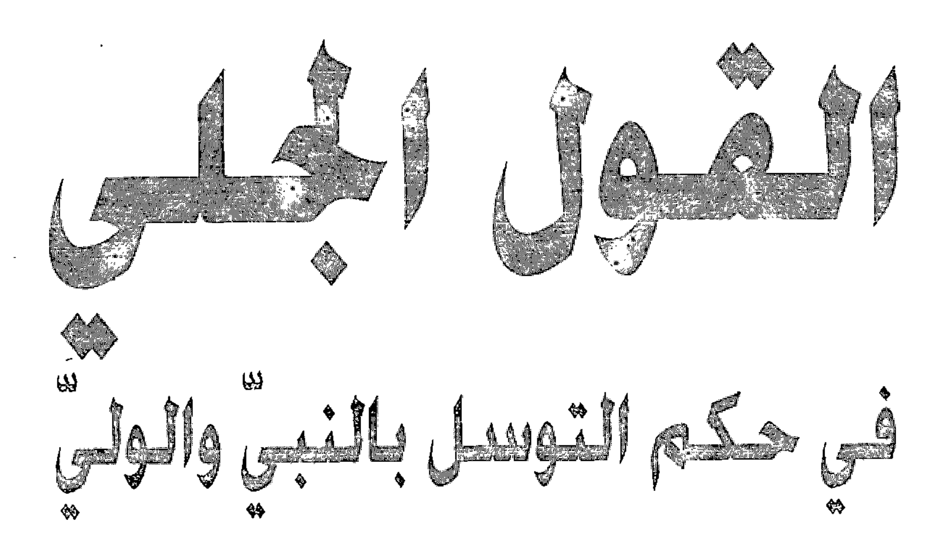
١- ترتيب المدارك
٢- سير أعلام النبلاء
٣- الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء
٤- حلية الأولياء
٥- تاريخ خليفة بن خياط
٦- مشاهير علماء الأمصار
٧- الفهرست لابن النديم
٨- تهذيب الكمال للمزي
٩- تهذيب التهذيب لابن حجر
١٠- تقريب التهذيب لابن حجر
١١- وفيات الأعيان لابن خلكان
١٢- تذكرة الحفاظ للذهبي
١٣- البداية والنهاية لابن كثير
١٤- الديباج المذهب لابن فرحون
١٥- تاريخ ابن معين
١٦- الأنساب للسمعاني
١٧- شذرات الذهب لابن العماد
١٨- التمهيد لابن عبد البر
١٩- تاريخ الطبري
٢٠- ذَمُّ الكلام للهروي، (خ)
٢١- أصول السنة اللالكائي (خ)
٢٢- الإبانة لابن بطه (خ)
٢٣- السنة لابن عبد اللّه بن الإمام أحمد
٢٤- الاعتصام للشاطبي
٢٥- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر
٢٦- موطأ مالك بن أنس
٢٧- المدونة
٢٨- المدخل لابن الحاج
٢٩- الصارم المسلول
٣٠- غاية الأماني في الرد على النبهاني
٣١- تحذير الساجد
٣٢- فتح الباري لابن حجر



فهرست المواضيع

* * *

صدر حديثاً عن دار الفتح



تـألـيف

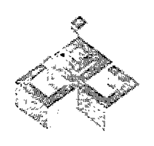
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر

رحمه الله تعالى



هـــذا الكتـــاب

- يبين عقيدة الإمام مالك - رحمه اللّه تعالى - بطريقة سهلة مبسطة من وا ما رواه في موطئه ومن المدونة.
- يوضح أصول الاستدلال عند الإمام مالك - رحمه اللّه - وأنها الكتا والسنة.
- يثبت صفاء عقيدة الإمام مالك - رحمه اللّه - ونبذه للكلام والمتكلم وطريقتهم .
- يظهر جهاد الإمام مالك رحمه اللّه لكل محدث في الدين ومناهضته لأهل البدع والأهواء .
- يؤكد أن علماء الأمة وأئمة السلف - رحمهم اللّه - ما تركوا ضلالاً يدخل على الأمة إلا وجاهدوه بأقلامهم وكل ما يملكون .
- يقرر أن الإمام مالك - رحمه اللّه تعالى - ما أهمل إيراد أحاديث الأسماء والصفات في موطئه ولا غيرها من المتشابه .
- يرد على المتمذهبين بمذهب الإمام مالك الذين نأوا عن عقيدة إمامهم إمام دار الهجرة رحمه اللّه تعالى .
- يعرض عقيدة الإمام مالك صافية نقية وهي التي كان عليها الرسول ﷺ وأصحابه والأئمة الأخيار. فكن عليها وتمسك بها حتى تفوز بسلامة القلب وجنة الرب تبارك وتعالى .



دار الفتح

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤/٦. - هاتف النشر : ٣٢٦٠١٨/٦. - هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨/٦

فاكس : ٣٢٢٥٢٦/٦. - ٣٢٦٨٣٨/٦. - ص. ب : ٢٣٤٢٤ - الشارقة - إ.ع.م

